الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

التقديم و التأخير عند فاضل صالح السامرائي دراسة بلاغية لكتابه "

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي

تخصص:لغة عربية.

إعداد الطلبة:

* **الديب آمنة**
* **الديب خديجة**

إشراف الأستاذ(ة):

* **د/ وردة مسيلي**

السّنة الجامعية:2014/2013

دعاء

ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين

(النمل. الآية:19)

وقل ربّ زدني علما

(طه.الآية:114)

شكر وعرفان

أولُ حمدٍ أنْ نحمدَ اللهَ الذي تتم بحمده الصالحات، وأعظم شكر للذي سجدت له الكائنات

الحمد والشكر لله رب العالمين لما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على تيسيره

وتوفيقه لنا في إنجاز هذا العمل، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى

محمد صلى الله عليه وسلم .

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي سليم مزهود الذي أحترمه وأقدره كثيرا، والذي أعاننا ولم يبخل علينا بوقته ونصائحه بكل صدر رحب، والذي تعلمنا منه الكثير الكثير، ولا زلنا، لك منا كل الثناء والتقدير، أسأل الله له التوفيق، وأن يبلغه مبتغاه في هذه الحياة ، وذا كل من كانت له يد في تذليل ما واجهتنا من صعوبات في إنجازنا لعملنا هذا .

إ هـد ا ء

إلى أغلى إنسانين على قلبي ..إلى الشمعة المتّقدة التي تنير ظلمة حياتي جدتي "عائشة"

إلى الذي بمحبته أزهرت أيامي جدي "عبود" أطال الله في عمرهما إلى من قال فيهما الله تعالى: {واخفض لهما جناح الذل من الرحمة}

إلى من يعجز اللسان ويجف القلم ليصف جميله .. من لا تكفيه كلمات الشكر ولا قصائد الشعر ... ولا خطب النثر .. أبي.

إلى من تحت قدميها الجنان.. أمي حفظهما الله

إلى أخي عبد المنعم، إلى أخواتي : آمنة، أسماء، رميساء، شيماء

إلى خالتي: مديحة

إلى منى الروح وأجمل ما في حياتي .. إلى عبد الودود (سوسو)

إلى الوردة: أسماء

إلى كل زميلاتي.. إلى كل صديقاتي.. إلى من ملأت قلوبهن الطيبة ومن تزينت أخلاقهن بالوفاء أخص بالذكر منهن: منى، سامية، أحلام، سعيدة، شادية، ابتسام، أمال، إيمان مريم، مروة، سمية ..

إلى أسرتي كلها وأحبابي جميعهم حيثما كانوا

إلى كل من أسهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة

سواء أكانوا عمالا أم مكتبيين أم أساتذة أم زميلات

خديجة

أهدي عملي المتواضع إلى ..

من كانا سببا في وجودي :

أمّي "خضرة"

وأبي "عبد العالي"

إلى من قال فيهم الشاعر :

أمعلّم الأجيـــال ألف تحيـــة من كل شبل للمعاهد غـــاد

شيدت للتاريخ صرحا شامخا فبلغت فيه ذروة الأمجـــاد

يكفيك فخرا أن تكون مربيـا أعددت جيلا أشرف الإعداد

هيأته لينـــــال أشرف رتبـــة ويقود أمته ليـــوم جهـــاد

يا ساهر الليلات في تصحيحه كي تستقيم مواهب الأولـاد

عجبا أيقنع بالقليل مضحيـا بلذيذ عيش بل بطيب رقـاد

ذوبت نفسك كي تكون أمـة بالعلم والتثقف والإرشـــاد

فإذا دعوا للعلم جئت ملبيـا وإذا نطقت ملأت أذن النادي

إلى كل من علمني حرفا

إلى كلّ من كان سببا في بلوغي مكانةً علمية

أهدي عملي ابتداءً من أبي

آمنة

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين مبشرا ونذيرا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تعددت مباحث اللغة العربية، وعالجها علماؤنا بالكثير من التفصيل، لدرجة تشعبت فيها معها بعض المباحث والأبواب وتفرّعت تفرّعا حين يتتبعه المهتمون يظنون أنه نهاية هذا العلم وحدّه، لكن الذي يختلف في هذه المعالجات هو اختلاف درجة تناول المبحث أو اختلاف الموضوع المتناول، فقد يتناوله النحوي والبلاغي وغيرهما، لكن كل بحسب زاوية رؤيته، والأهداف المسطرة التي يروم تحقيقها والوصول إليها من تناوله لذلك الموضوع، ومن بين هذه الموضوعات؛ التقديم والتأخير .

والتقديم والتأخير من بين تلك الموضوعات التي نالت حظا وافرا من الحديث وأسالت حبر علماء النحو والبلاغة، فقد أولوه اهتماما زائدا لشرف اللغة التي يدرسون نظمها وتركيبها، وكونها تمتاز بتنظيم تركيبي عجيب، جعل نظامها اللغوي فريدا من نوعه.

فقد شغل هذا الموضوع بال علماء البلاغة، حيث أولوه اهتماما بالغا من خلال بحثهم له بشتى أنواعه، وذلك في أبواب معروفة في مصنفاتهم لا سيما في تقديم المسند، والمسند إليه، ومتعلقات الفعل، على رأسهم: القاضي عبد القاهر الجرجاني الذي أبرز صورته الجمالية والبلاغية في كتابه "دلائل الإعجاز"، وابن الأثير، وكذا جلال الدين السيوطي، وغيرهم، ومن هنا كثرت المؤلفات التي تناولت هذا المبحث، وقد حاول كل منهم الكشف عن شيء من أسراره وخباياه، وقد نجد تشابها كبيرا بين الكثير منها، لكن يظل دائما هناك فرق ما بين مؤلف وآخر .

ومن بين المؤلفات العديدة التي اهتمت بموضوع التقديم والتأخير، تلكَ التي وقع عليها اختيارنا "التعبير القرآني" للدكتور فاضل صالح السامرائي، ومن هنا جاء عنوان مذكرتنا: "التقديم والتأخير عند فاضل صالح السامرائي دراسة بلاغية لكتابه "التعبير القرآني"، وقد كان للأستاذ الفاضل يد في اختيارنا لموضوعنا، حيث كان وسيلتنا لانتخاب الدكتور فاضل صالح السامرائي، وربطه بمسألة التقديم والتأخير لما وجدناه منطويا على أسرار

عظيمة وأغراض بديعة، ولعل كثرة دورانها في كتاب الله عز وجل خير شاهد على دورها الجليل في التعبير عن المعاني، ومنه كان انتقاءنا للموضوع الذي ارتضيناه كعنوان لمذكرتنا.

وقد صادفتنا عدة أسئلة وإشكاليات أثناء سبرنا لأغوار موضوعنا أهمها: ما هو تعريف التقديم والتأخير؟ وفيمَ تتمثل أسبابه؟ وما هي أغراضه؟ وكيف تناول فاضل صالح السامرائي التقديم والتأخير؟ هل كان يذكر أغراضه وألوانه ويبرز جمالياته وأهميته في بعض الآيات القرآنية؟ أم كان يعالج به آيات من القرآن الكريم مكتفيا بالمقدم والمؤخر؟ وغير ذلك من الأسئلة التي أشعلت فتيل موضوع المذكرة لدينا، حيث دفعتنا للبحث أكثر عن الأجوبة، وهذا لا يتحقق إلا من خلال التعمق الطويل وسط هذا الكتاب "التعبير القرآني" والإحاطة بكل جوانبه، فكان لنا ذلك حين اتبعنا خطة رسمناها على النحو الآتي:

- مقدمة.
- مدخل تناولنا فيه تعريف البلاغة وأقسامها، ثم تطرقنا إلى قسم علم المعاني وأشرنا إلى ما يحتويه من مباحث حيث ركزنا على مبحث التقديم والتأخير، ثم أشرنا إلى أهم البلاغيين الذين تناولوه، وختمنا المدخل بتمهيد للتقديم والتأخير.
- أما الفصل الأول فعنوناه: "مفهوم التقديم والتأخير، وأقسامه وأغراضه"؛ حيث تناولنا فيه: تعريف التقديم والتأخير لغة واصطلاحا، ثم تناولنا أقسام التقديم والتأخير عند أربعة بلاغيين، ثم أسبابه، وأغراضه، حيث قمنا بشرح ما يقتضي منا الشرح وعرضنا لكل سبب وغرض بمثال، وفي ختام الفصل تناولنا فائدة التقديم والتأخير.
- أما في الفصل الثاني الذي عنوناه: "التقديم والتأخير عند فاضل صالح السامرائي" فقد خصصناه لدراسة التقديم والتأخير في كتابه "التعبير القرآني" حيث استهلّ ببطاقة فنية حول كتابه "التعبير القرآني"، ثم مقدمة تناولنا فيها أهمية التقديم والتأخير عند الجرجاني، ثم تكلمنا عن التقديم والتأخير عند السامرائي، حيث تطرقنا إلى أحواله، وأغراضه، وأهميته كما أوردها في كتابه.
- ثم خاتمة حيث عرضنا فيها أهم نتائج البحث التي توصلنا إليها .
- وأخيرا أتبعنا بحثنا بفهرس لقائمة المصادر والمراجع، وآخر للموضوعات .

و كأي بحث أكاديمي لا يخلو هذا البحث من صعوبات وعراقيل، وهي في مجملها تتمثل في تشعب وتعدد الدراسات حول التقديم والتأخير مما خلق لنا صعوبة في اختيار ما يخدمنا، ورغم هذا تجاوزناها ولم ندعها تقف في طريقنا، وقد رافقتنا أثناء إعدادنا لمذكرتنا مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: "التعبير القرآني" للسامرائي، و"البرهان في علوم القرآن" للزركشي، و"دلائل الإعجاز" للجرجاني، حيث حاولنا المزج بين الكتب التراثية والحديثة .

وختاما، نقول إننا قد حاولنا بكل ما في وسعنا أن تكون مذكرتنا مثالية، ولا ننكر الاعتراف بقصورنا وعجزنا، ولا ندّعي الكمال فالكمال لله وحده، فإن وفقنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، ونسأل الله أن يكون هذا البحث بوابة لدراسات أخرى لاحقة.

ونحمد الله أن أعاننا على إتمامنا لبحثنا هذا، كما نود أن نشيد بدور أستاذنا الكريم: "مزهود سليم" الذي ساعدنا وشد من أزرنا فاستقينا من فيض منهجيته العلمية، ونصائحه الجليلة التي عادت علينا بالنفع الكثير، فله منا خالص الشكر والتقدير، أعانه الله ووفقه لما يرضاه، كما نشكر كل من كانت له يدا طيبة في هذا البحث صغيرا أَكَانَ جهده أم كبيرا، وبالخصوص الوالد العزيز "عبد العالي"، فجزاهم الله منا كل خير ووفقهم، ونسأل الله أن ينفعنا بهذا العمل .

مدخل؛
مفهوم البلاغة وفائدتها

تعريف البلاغة:

قبل الغوص في غمار التقديم والتأخير لا بد أولا أن نتطرق لمصطلحي: البلاغة وعلم المعاني بالشرح والتعريف في اللغة والاصطلاح.

أ- تعريف البلاغة لغة:

البلاغة في اللغة تعني الوصول والانتهاء، وهي مشتقة من الفعل (بلغ) يقول ابن فارس: «الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء. تقول بلغتُ المكان، إذا وصلت إليه. وقد تسمى المشارفة بلوغا بحق المقاربة. قال تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف﴾، ومن هذا الباب قولهم: "هو أحمق بلغ وبلغ، أي إنه مع حماقته يبلغ ما يرده. والبلغة ما يتبلغ به. من عيش، كأنه يراد أنه يبلغ رتبة المكثر إذا رضي وقنع، وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان، لأنه يبلغ بها ما يريده، ولي في هذا بلاغ أي كفاية. وقولهم بلّغ الفارس، يراد به أنه يمد يده بعنان فرسه، ليزيد في عدوه وقولهم تبلّغت القلة بفلان، إذا اشتدت، فلأنّه تناهيها به؛ وبلوغها الغاية»[1].

وفي أساس البلاغة: «بلغ: أبلغه سلامي وبلغه. وبلغت ببلاغ الله: بتبليغه؛ قال الكميت:

فهل تبلغينهم على نأي دارهم نعم ببلاغ الله وجناء ذِعلبُ

وبلغ في العلم المبالغ. وبلغ الصبي. وبلغ الله به فهو مبلوغ به. وبلغ مني ما قلت. وبلغ منه البُلغين والبالغين. وأبلغت إلى فلان: فعلت به ما بلغ به الأذى والمكروه البليغ. واللهم سمعا لا بلغ ... وتبالغ فيه المرض والهم إذا تناهى. وتبلغ بالقليل: اكتفى به، وما هي إلا بلغة أتبلغ بها. وتبلغت به العلة: اشتدت... وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ وهذا قول بليغ ... وتبالغ في كلامه تعاطى البلاغة وليس من أهلها، وما هو ببليغ ولكن يتبالغ ... وبلغ الفارس: مد يده بعنان فرسه ليزيد في عدوه. ووصل رشاءَه بتَبلِغة وهو حُبيل يوصل به حتى يَبلُغ الماء وهو الدرك، ولابد لأرشيتكم من تبالغ» [2].

---

[1] . أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة. تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1979م ص:301 – 302 .

[2] . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة. تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 1998م ، ص 75 .

فالبلاغة إذن في المعاجم اللغوية تعني الوصول إلى الشيء المراد والانتهاء وبلوغ الغاية وكذلك الاكتفاء.

أما في الاصطلاح فهي: مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلابد فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيّمة القوية المبتكرة منسقة حسنة الترتيب، مع توخّي الدقة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته، وحال من يُكتَب لهم أو يُلقى إليهم[1].

وقد نالت البلاغة حظها في التعريف من قبل علماء كثيرين حيث يقول عنها الجاحظ: «لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظُه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»[2]. فنجده يورد لنا في هذا التعريف مجموعة من الشروط التي يؤدي توفرها في الكلام إلى إطلاق لفظ البلاغة عليه .

وقال المبرد: «أن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرّب بها البعيد، ويحذف منها الفضول»[3]. وهو تعريف الجاحظ نفسه، فقد أورد هو أيضا شروطا للقول حتى يكون بليغا.

وقد تكلم ابن الأثير عن البلاغة والفصاحة وأوضح أن البلاغة أخص من الفصاحة في قوله: «والبلاغة شاملة للألفاظ والمعاني، وهي أخص من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان. فكلّ إنسان حيوان، وليس كلّ حيوان إنسانا. وكذلك يقال: كل كلام بليغٍ فصيحٌ. وليس كل كلام فصيحٍ بليغاً»[4] .

وقد فرّق الخفاجي[5] بين البلاغة والفصاحة في قوله: « أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة

---

[1] . مجدي وهبة وكامل مهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2، 1984م ص 79 .

[2] . الجاحظ : البيان والتبيين. تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط7 ، 1998م ، ج 1، ص15

[3] . أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : البلاغة ، تح رمضان عبد التواب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،ط2،1985م ص:81 .

[4] . ابن الأثير (ضياء الدين): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة ، د ط ، د ت ، ج 1، ص: 94 .

[5] . هو الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي توفي سنة 466 للهجرة .

لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة، وإن قيل فيها فصيحة وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا»[1]. فالخفاجي يتفق مع ابن الأثير في التفرقة بين مفهوم الفصاحة ومفهوم البلاغة فالبلاغة لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب .

أما السكاكي فقد عرف البلاغة بقوله: «هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»[2]. وبهذا التعريف يكون العالم الفذ السكاكي قد وضع معالم البلاغة في كتابه "مفتاح العلوم" وأدخل مباحث علم المعاني وعلم البيان وأخرج مباحث علم البديع لأنه: وجوه مخصوصة، كثيرا ما يصار إليها، لقصد تحسين الكلام. فالبلاغة عنده قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ؛ فالقسم الذي يرجع إلى اللفظ هو الذي أسماه بعلم المعاني وعرفه بقوله: «اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[3]، وهو عنده منحصر في ثمانية أبواب هي: أحوال الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال المسند، أحوال متعلقات الفعل القصر، الإنشاء، الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة. أما الذي يرجع إلى المعنى أسماه علم البيان وهو: «معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[4].

أما الخطيب القزويني فقد ميز بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم فقال عن الأولى: «البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته»[5]، ومقتضى الحال مختلف ومقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر

---

[1] . ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة. دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ، 1982م ، ص 59 .

[2] . أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم. تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 2000م، ص 526 .

[3] . المرجع نفسه. ص 247 .

[4] . أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي : مفتاح العلوم. ص: 249 .

[5] . جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني: التلخيص في وجوه البلاغة. تح عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1904م، ص: 33 .

يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه عبد القاهر النظم فهو: «صنعة يُستعان عليها بالفكرة لا محالة. وإذا كانت مما يستعان عليها بالفكرة، ويُستخرج بالرّويّة فينبغي أن ينظر في الفكر، بماذا تلبّس؟ أبالمعاني أم بالألفاظ؟ فأي شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ، فهو الذي تحدث فيه صنعتك، وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك. فمحال أن تتفكر في شيء وأنت لا تصنع فيه شيئا، وإنما تصنع في غيره»[1]. وقال عن الثانية: «والبلاغة في المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ»[2].

من تعريف الخطيب لبلاغة الكلام وبلاغة المتكلم يتضح لنا أن بلاغة الكلام لا تتحقق إلا بتحقق أمرين هما : المطابقة مع الفصاحة أي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته.

والبلاغة لا تكون ولا تتحصل إلا بثلاثة شروط هي: الأول: تمييز الكلام الفصيح عن غيره الثاني: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، الثالث: الاحتراز عن التعقيد المعنوي[3]. وقسم الخطيب القزويني البلاغة إلى ثلاثة أقسام هي: أولا علم المعاني، ثانيا علم البيان وثالثا علم البديع، ولمّا كانت هذه العلوم هي قاعدة عمود الفصاحة، وحجر أساس البلاغة كان على الكاتب أو على كل من رام الفصاحة معرفتها، والإحاطة بمباحثها، ومقاصدها لأن الغرض من معرفتها والإحاطة بها، كما قال الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي: «ليتوصّل بذلك إلى فهم الخطاب، وإنشاء الجواب، جاريا في ذلك على قوانين اللغة في التركيب، مع قوّة الملكة على إنشاء الأقوال المركّبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء: من الخُطب والرسائل والأشعار من جهة بلاغتها وخلوّها عن اللّكن وتأدية المطلوب بها، وتكميل الأقاويل الشعرية نثرا كانت أو نظما، في بلوغها غايتَها وتأدية ما هو مطلوب بها، وأنها كيف تتعيّن بحسب الأغراض لتفيد ما يحصل بها من

---

[1] . عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز. تح محمود محمد شاكر ، د ط ، د ت ، ص 51 .

[2] . جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني : التلخيص في وجوه البلاغ ، ص 36. وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع. دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 11 و 14 .

[3] . حسن بن عثمان بن الحسين المفتي: خلاصة المعاني. تح عبد القادر حسين، الناشرون العرب، السعودية، د ط د ت ، ص 101 .

التخيل الموجب لانتقال النفس من بسط وقبض، والشيء يُذكر المحاسن بالذات والعيوب بالعرض»[1].

وللبلاغة طرفان: أعلى: هو حدّ الإعجاز، وما يقرب منه (أي ما يقرب من هذا الطرف الأعلى)؛ وأسفل: وهو الذي غُيِّر الكلام عنه إلى ما دونه، التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات (وهو عند بعضهم ليس من البلاغة في شيء).

وبين هذين الطرفين مراتب كثيرة، وتتبع هذه المراتب وجوه أخر تورث الكلام جودة وحسنا[2].

إذن البلاغة تكون في الكلام والمتكلم، والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته؛ فالكلام البليغ هو الكلام الواضح المعنى، الفصيح العبارة، الملائم للموضع الذي يطلق فيه، وللأشخاص الذين يخاطبون.

ومقتضى الحال هو الاعتبار المناسب فمقامات الكلام تختلف وتتفاوت حسب المواطن والمواضع التي تقال فيها –كما سبق توضيحه– فلكل مقام مقال.

والبلاغة في المتكلم: ملكة وقدرة يستطاع بها تأليف كلام بليغ.

فالبلاغة تقوم على عناصر هي: اللفظ والمعنى وتأليف للألفاظ بمنحها قوة وتأثيرا وحسنا ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته، ثم التأثير في السامعين، فالبلاغة ليست في اللفظ وحده، وليست في المعنى وحده، ولكنها في النظر فيهما معا كما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني[3].

وتنقسم البلاغة إلى أقسام ثلاثة: معان وبيان وبديع، ولن ندخل في تعريف علم البيان وعلم البديع لأنهما ليسا موضوعَ دراستنا مكتفيين فقط بتوضيح علم المعاني.

علم المعاني هو أحد علوم البلاغة كما سبق بيانه؛ وهو كما جاء في المعجم المفصل في علوم البلاغة: «يُعلّمنا كيف نركّب الجملة العربية لنصيب بها الغرض المعنوي الذي نريد على اختلاف الظروف والأحوال»[4].

---

[1] . أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى. دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د ط ، 1922م ، ج 1 ، ص 181 .

[2] . محمد أبو شوارب وأحمد محمود المصري: المدخل لدراسة البلاغة العربية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية ط1 ، 2007م ، ص 203.

[3] . عاطف محمد فضل: البلاغة العربية. دار ميسرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2011م، ص 36 .

[4] . إنعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني. مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1996م ، ص 607 .

وقد ورد علم المعاني في معجم التعريفات على أنه: «علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يُطابق مقتضى الحال»[1] .

وهو أيضا: «مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال والحال ويسمى بالمقام، أيضا هو الأمر الداعي إيراد التركيب على بعض صوره الممكنة فيه ومقتضى الحال ويسمى بالاعتبار المناسب أيضا هو تلك الصور الحاصلة بسبب الذكر، والحذف، والتقديم والتأخير والإطلاق والتقييد، ووصل بعض الجمل ببعض بالعطف وفصلها بتركه والإيجاز، والإطناب، والمساواة واشتمال الكلام على المجازات والكنايات المختلفة»[2].

وعرفه الدكتور عبد الله محمد النقراط: «هو علم تُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بواسطتها يُطابق هذا اللفظ ما يقتضيه الحال»[3]. وتناول فيه الخبر والإنشاء وأقسامهما.

وعلم المعاني كما ورد في تعريف الدكتور فضل حسن عباس أيضا: «هو العلم الذي نؤدي به الكلام حتى يكون مطابقا لمقتضى الحال من تقديم وتأخير، وحذف وذكر وفصل ووصل، وتعريف وتنكير، وقصر، وإيجاز، وإطناب»[4].

وعرفه الميداني بقوله: «هو علم يعرف به أحوال الكلام العربي التي تهدي العالمَ بها إلى اختيار ما يُطابق منها مقتضى أحوال المخاطبين، رجاء أن يكون ما يُنشئ من كلام أدبي بليغا»[5]، وهو يدور حول تحليل الجملة المفيدة إلى عناصرها، والبحث في أحوال كل عنصر منها في اللسان العربي، ومواقع الذكر والحذف، ومواقع التقديم والتأخير، ومواقع التعريف والتنكير، ومواقع الإطلاق والتقييد، ومواقع التأكيد وعدمه، ومواقع القصر وعدمه وحول اقتران الجمل المفيدة ببعضها، بعطف أو بغير عطف، ومواقع كل منهما ومقتضياته وحول كون الجملة مساوية في ألفاظها لمعناها، أو أقل منه، أو زائدا عليه.

---

[1] . علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات. تح محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، دط، دت ص 131 .

[2]. حسين المرصفي: الوسيلة الأدبية للعلوم العربية. مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، ط1 ، 1292هـ، ج 2، ص 30.

[3] . عبد الله محمد النقراط : الشامل في اللغة العربية. دار الكتب الوطنية ، ليبيا ،ط1 ، 2003م ، ص 146 .

[4] . فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني،. دار الفرقان للنشر والتوزيع الأردن،ط4، 1997م ص:88

[5] . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم، دمشق، ط:1، 1996م، ج1 ص 138 .

أما الحسن المفتي فقد حصره في ثمانية أبواب فقط لأن الكلام مطلقا لا بد فيه من إسناد ومسند إليه، ومسند، فوضع لكل واحد منها بابا فكانت ثلاثة أبواب، ثم لكل من المسند إليه والمسند متعلقات إذا كان فعلا أو معناه باب هو الباب الرابع، ولكل من الإسناد وما تعلق به كالقصر وعدمه باب هو الباب الخامس، والإنشاء وأبحاثه في الباب السادس، والفصل والفصل في الباب السابع، والتأخير وغيره في الباب الثامن[1].

ومما سبق نستنتج أن علم المعاني هو أحد فروع البلاغة وهو العلم الذي يعنى بأحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال أي وفق الغرض الذي سيق له، وموضوعه الكلام أو اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني المقصودة التي يريد المتكلم إثباتها أو نفيها لتطابق المقام بجعل الكلام مشتملا على خصوصيات من تقديم وتأخير، وحذف وذكر وفصل ووصل، وإيجاز، وإطناب، وتعريف وتنكير وقصر، وهلّم جرا من الخصائص التي اشتغل عليها البلاغيون، فمهما تعددت التعريفات والأقوال فلن تخرج عن دائرة هذا المفهوم وهو العلم الذي يدلّك على أن لكل مقام مقالا، ومقامات الكلام متفاوتة كمقام الشكر والشكاية، ومقام التهنئة والتعزية ومقام الجد والهزل، فعلم المعاني يرشدنا إلى اختيار التراكيب اللغوية المناسبة للموقف فما يصلح في مقام التهنئة لا يصلح في مقام التعزية وهكذا .

وتتمثل فائدته وأهميته في :

أ – بيان إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من جودة السبك وحسن الوصف وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سهولة التركيب، وجزالة كلماته وعذوبة ألفاظه وسلامتها إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته.

ب – الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منثور كلام العرب ومنظومه كي تحتذي حذوه، وتنسج على منواله، وتفرق بين جيد الكلام ورديئه[2].

وغرضه: الاحتراز عن الوقوع في الخطأ في تأدية المعنى المراد، وعلم المعاني مستمد من كتاب الله عز وجل وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام وكلام العرب.

---

[1] . الحسن بن عثمان بن الحسين المفتي: خلاصة المعاني. ص 110 .

[2] . أحمد هاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999م، ص 47 .

وواضع علم المعاني هو: العالم العبقري عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)؛ حيث ارتبط بنظرية النظم التي تعني ترتيب الكلام ليوافق المعاني التي تريد أن تعبر عنها –كما سبق وأوضحنا ذلك –وهذا كله قدم للدراسات البلاغية عامة ولعلم المعاني خاصة فوائد جليلة لا يزال أثرها إلى الآن ، يقول في أثر علم المعاني في بلاغة الكلام في كتابه (دلائل الإعجاز): «إنّ الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وبهرت، هي أنه كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهيا إلى غاية لا يُطمح إليها بالفكر وكان محالا أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب والذي لا يشك أنّه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، ثمّ بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض»[1].

وقد تحدث عبد القاهر في جميع المباحث التي أصبحت تشكل هذا العلم، وكان كتاباه (دلائل الأعجاز) و(أسرار البلاغة) بمثابة فتح جديد في تاريخ التأليف البلاغي حيث اهتم بالحديث في الكتاب الأول منهما عن نظرية النظم مما مهد لعلم المعاني، واهتم بالحديث في كتابه الثاني عن التشبيه والاستعارة والمجاز مما يعد تمهيدا لعلم البيان فيما بعد[2].

ثم جاء البلاغيون من بعده فأعادوا صياغة ما أصله الجرجاني، بالاختصار والشرح والتصنيف، من بينهم السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) الذي جعله كثيرا من الدارسين مثالا يحتذى فأكبوا على دراسته وقاموا بشرحه وتلخيصه[3]، ومن أشهر هؤلاء الخطيب القزويني في كتابيه: (الإيضاح في علوم البلاغة) و(التلخيص في علوم البلاغة)، وتجدر الإشارة إلى أن عبد القاهر لم يطلق على هذا العلم اسم علم المعاني رغم أن مصطلح (المعاني) كان شائعا في غير البلاغة والإعجاز القرآني وإنما الذي أطلقه عليه هو الزمخشري في تفسيره (الكشّاف) تأسيا بابن معتز في كتابه (علم البديع)؛ حيث تناول الزمخشري في تفسيره إعجاز القرآن الكريم وفصاحته ويلاحظ أنه في تناوله للجانب

---

[1] . إميل بديع يعقوب : موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية ، لبنان ،ط1 ، 2006م، ج: 6، ص: 537

[2] . زين كامل خويسكي وأحمد محمود المصري : فنون بلاغية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1 2006م، ص: 20

[3] . محمد أبو شوارب وأحمد محمود المصري : المدخل لدراسة البلاغة العربية، ص: 191

البلاغي كان أكثر دقة في تحديد المصطلحات البلاغية وتسميتها بأسمائها كما تميز بالاتساع في مناقشة القضايا اللغوية والبلاغية[1].

كانت هذه لإطلالة بسيطة على بعض الجهود الكبيرة لمجموعة من خيرة علماء العربية حيث كان كل سعيهم في البلاغة يرمي إلى بيان إعجاز وجماليات أسلوب القرآن الكريم وإظهار ما في الأدب من فنية وذوق وبراعة وجمال، ويضعون لها القواعد والقوانين ويقسمونها إلى فروع كل حسب خلفيته الثقافية مما أغنى الدرس البلاغي بآراء ومؤلفات متميزة لا يزال التاريخ يشهد لهم بها .

ولم تخرج كتب البلاغة الحديثة عن هذا الأسلوب سوى بتغيير مثل بمثل، أو ذكر بيت شعر مكان الآخر، وهي تضع بحوث البلاغة الحديثة ضمن ثلاثة فروع: علم البيان وعلم المعاني، وعلم البديع[2]، ومن هؤلاء الذين اهتموا بتجديد البلاغة في العصر الحديث الشيخ أمين الخولي، والشيخ عبد العزيز البشري، وأحمد حسن الزيات، وأنيس المقدسي، والدكاترة: أحمد بدوي، وعلي العماري، وعبد الرزاق محيي الدين، وأحمد مطلوب، وبدوي طبانة، وحفني شرف، وغيرهم[3]

هذا هو الوجه الجمالي للبلاغة وأحد فروعها (علم المعاني)، ولعل ما قدمناه في المدخل يحذونا بقوة إلى بيان جمالية التقديم والتأخير مفهوما ودلالة واكتنافه أغراضهما وأساليبهما ليس عند أحد البلاغيين الذين سبق ذكرهم إنما عند أحد الوجوه التي برزت حديثا (فاضل صالح السامرائي) في كتابه (التعبير القرآني).

---

[1] . محمد أبو شوارب، وأحمد محمود المصري: المدخل لدراسة البلاغة العربية. ص 153 .

[2] . سميح أبو مغلي: علم الأسلوبية والبلاغة. دار البداية ناشرون وموزعون، عمان ، ط1 ، 2011م ، ص 21-23

[3] . منير محمد خليل ندا: التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث. http://www.alukah.net/library/0/30259 2011/031/12 ، الساعة : 10:58 .

الفصل الأول؛

مفهوم التقديم والتأخير، وأقسامه وأغراضه

توطئة:

ارتأينا أنه حتى تكون بِداية منطقية لموضوع المذكرة أن نقوم بالتعريف بمرتكزات البحث وذلك أنّ وضوح دلالة المفهوم الاصطلاحي هي أولى خطوات البحث العلمي.

ومما لا شكّ فيه أنّ العودة إلى أصل الكلمة في اللغة هي مفتاح الخطوة الأولى من أجل الكشف عن العلاقة بين الدلالة اللغوية ودلالة المصطلح، التي آل إليهما المفهوم. لذا سنتوقف عند المرتكزات: (التقديم، التأخير) التي تضمّنها عنوان المذكرة، وكانت أساس التناول في البحث .

1- تعريف التقديم والتأخير :

حظي كل من التقديم والتأخير بعناية كبيرة من قبل علماء كثيرين. وقد عَرَّفوه لغة واصطلاحا، من هذه التعريفات:

أولا؛ التقديم:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور «قدم في أسماء الله تعالى المقدّم: هو الذي يقدّم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدّمه ... وَقَدَمَهُمْ يَقْدُمُهُمْ قَدْماً وَقُدُوماً وَقَدِمَهُمْ، صار أمامهم»[1] .

والتقديم كما ورد في أساس البلاغة؛ قدم: تقدّمه وتقدّم عليه واستقدم. {وَلَقَد عَلِمنَا المُستَقدِمِينَ مِنكُم وَلَقَد عَلِمنَا المُستَأخِرِينَ}. وقدَمَ قومَه يقدُمهم، ومنه: قادِمة الرَّحل: نقيض آخرته. وقدّمته وأقدمته فقدّم وأقدم بمعنى تقدّم، ومنه مقدّمة الجيش ومقدَّمتُه: للجماعة المتقدّمة، والإقدام في الحرب؛ قال عنترة: [من الكامل]

ولقد شَفَى نَفسي وأبرَأ سُقمها

قِيل الفوارس ويك عنترُ أقدِم [2]

أما في تاج العروس فالتقديم: «من قدّم بمعنى: تَقَدَّمَ، وقد استُعِيرَ لكلّ شيء فقيل: مُقَدِّمَةُ الكتاب. مُقَدِّمَةُ الجيش -بكسر الدّال- أوّل ما يَتَقَدَّم منه على جمهور العسكر.

---

[1] . ابن منظور : لسان العرب. دار المعارف ، القاهرة ، مجلد 05 ، ص 3552-3553 .

2 . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري : أساس البلاغة ، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 1998م ، ص 58 .

ومُقَدَّمَةُ الإنسان– بفتح الدال: صدره .

وقيل المُقَدِّمَةُ من كل شيء: أوله، والمقدمة: (الناصية والجبهة)» [1] .

إذن فالتقديم من الفعل قدّم الذي هو بمعنى تقدّم أي صار في المقدمة وفي الأمام.

ومقدمة الشيء هي عكس آخرته، والمقدّم هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد وردت كلمة التقديم ومشتقاتها. والاشتقاق من أهم ما تتميز به لغتنا العربية عن سائر اللغات الأخرى وسر من أسرارها في القرآن الكريم وفي أشعار العرب.

ب– اصطلاحا: هو خلاف التأخير وهو أصل في بعض العوامل والمعمولات ويكون طارئا في بعضها الآخر، ومما يجب التقديم فيه، وهو أصل الفعل مع الفاعل، والمبتدأ مع الخبر والفاعل مع المفعول به، وبقية الفضلات والمكملات. وقد يطرأ لهذه الأمور من أسباب نحوية أو بلاغية أو عروضية ما يقتضي تأخيرها وتقديم ما هو مؤخر في الأصل، كتقديم المفعول به على الفاعل نحو: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه﴾؛ حتى لا يعود الضمير إلى متأخر في اللفظ والرتبة.

ونحو: إياك نعبد، ومحمدا قابلت ؛ بتقديم المفعول به على الفعل والفاعل لإرادة الحصر البلاغي. ونحو: في الدار رجل، بتقديم الخبر على المبتدأ هروباً من الابتداء بنكرة[2].

وتقديمُ ما مرتبتهُ التأخير hysteron proteron؛ وَضعُ اللّفظ أو العبارة المتأخِّرة حسب الترتيب الطبيعي للجملة في أوّلها، وذلك للتخصيص أو الاهتمام. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعينُ﴾؛ أي نخصّك بالعبادة والاستعانة، وذلك بدلاً من نعبدك ونستعينك[3].

فالتقديم في الاصطلاح: تقديم ما حقه التأخير لاعتبارات بلاغيّة أو نحوية عدة؛ يقول سيبويه في هذا الصدد: "كأنهم إنما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعْنَى، وإن كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم"[4].

---

1 . محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس. تح : عبد الستار أحمد فراج ، التراث العربي الكويت، 1965م، ج: 33، ص: 241

2 . محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية. دار الفرقان، الأردن، ط:1، 1985م، ص: 184

3 . مجدي وهبه وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مكتبة لبنان، بيروت، ط:2، 1984م ص: 116

4 . سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص:34

ثانيا؛ التأخير:

أ- لغة :

وردت لفظة التأخير في المعاجم اللغوية القديمة بمعنى يخالف التقديم؛ كما وردت في معجم المقاييس: «الهمزة والخاء والراءُ أصل واحد إليه ترجع فروعهُ، وهو خلاف التقدُّم. وقال: وآخرة الرحل وقادمته ومؤخّرُ الرَّحل ومُقَدَّمُه»[1] .

وفي لسان العرب "أخّر" في أسماء الله تعالى: الآخر والمؤخِّر، فالآخر هو الباقي بعد فناء خلقه كلّه ناطقه وصامته، والمؤخِّر هو الذي يؤخِّر الأشياء فيضعها في مواضعها، وهو ضِدُّ المُقَدِّمِ. وأَخَّرتُهُ فَتَأَخَّرَ واستأخر كتأخّر .

وفي التنزيل: ﴿لا يَسْتأخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةٌ ولا يَسْتَقْدِمُون﴾ [الأعراف:07]. والآخر: خِلافُ الأوَّل، والأُنثى آخرةٌ. حكى ثعلب: هُنَّ الأوَّلاتُ دخولاً والآخِراتُ خروجاً . الأزهري : وأمَّا الآخِرُ، بِكسْرِ الخاء. قال الله عزّ وجلّ: ﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال وهو يمجّد الله: أنت الأوّل فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء .

قال اللّيث: الآخر والآخرة نقيض المتقدّم والمتقدّمة ، والمستأخر نقيض المستقدم[2]

وفي المعجم الوسيط: أَخَّرَ، تَأَخَّرَ، وأخّر الشيء جعله بعد موضعه، وأخّر الميعاد: أجّلهُ[3]

أخر: أخّره فتأخّر واستأخر أيضا، والآخر. بكسر الخاء. بعد الأوّل، وهو صفة. تقول: جاء آخِراً، أي: أخيرا، وتقديره فاعل، والأنثى آخرة، والجمع أواخر.

والآخَر. بفتح الخاء. أحد الشيئين، وهو اسم على أفْعَلَ، والأنثى أُخْرَى، إلا أنّ فيه معنى الصفة؛ لأَن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة ... ولا أفْعَلُه أُخْرى الليالي، أي: أَبداً[4].

والآخِرُ في القاموس المحيط: "خلاف الأول وهي بهاء والغائبُ كالأخيرِ، وبفتحِ الخاء: بمعنى غير، ج: بالواوِ والنونِ، وأُخَرُ، والأنثى أُخْرى، وأخراة، ج: أخريات وأخر، والآخرة والأخرى دار البقاءِ ... وأتيتُكَ آخِرَ مَرَّتينِ، وآخِرةَ مَرتَينِ، أي: المرَّةَ الثانية" [5].

---

[1] . أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : مقاييس اللغة. تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979 م، ص:70

[2] . ابن منظور: لسان العرب. دار المعارف ،القاهرة ، ب ت ، مجلد 01 ، ص 38.

[3] . مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق اليومية ، مصر ، ط4 ، باب الألف ، ص 8 .

[4] . محيي الدين عبد الحميد وعبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، دط، دت، ص:7

[5] . محمد الفيروزآبادي: القاموس المحيط.تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط 8، 2005م، ص: 342

ب- اصطلاحا :

التأخير كما جاء في معجم المصطلحات النحوية والصرفية هو: «حالة من التغيير تطرأ على جزء من أجزاء الجملة، وتوجب وضعه في موضع لم يكن له في الأصل، وذلك كالمبتدأ في الجملة؛ فإن موضعه في أول الجمل وبداياتها نحو:الكتاب فوق الدرج؛ فالكتاب هو المبتدأ، ويجب أن يكون في بداية الجملة كما في المثال، ولكن قد يطرأ عليه ما يوجب تغيير حكمه من التقديم إلى التأخير؛ كما لو نكر بحذف أل التعريف " أل" ولم يفد ففي هذه الحالة يجب تأخيره وتقديم الخبر، فيقال: (فوق الدرج كتاب) وفي مثل هذا يقال عن المبتدأ إنه مؤخر وقد يكون التأخير واقعا للكلمة ابتداء ودون طارئ – وهذا هو الأصل– وذلك كتأخير الخبر عن المبتدأ، والفاعل عن الفعل والمفعول عنهما والحال عن فعله وصاحبه وتمييزه عن مميزه، وهكذا»[1].

فالتأخير هو جعل اللفظ أو الكلمة في رتبة قبل رتبتها أو بعدها لعوارض نحوية أو بلاغية اعترتها أو لضرورة طرأت عليها .

ثالثا؛ التقديم والتأخير: هو تغيير مواضع الألفاظ في الجملة تغييرا يخالف الترتيب النحوي المألوف لغرض بلاغي كالقصر وإظهار الاهتمام[2]؛ ومن البديهي أنّ الجملة في النحو العربي تنقسم إلى قسمين هما:

القسم الأول: الجملة الفعلية.

القسم الثاني: الجملة الاسمية.

وأنّ الترتيب النحوي المألوف في الجملة الفعلية تقديم الفعل، ويُلحق به ما يعمل عمل الفعل، وتأخير الفاعل أو ما ينوب منابه، ثم تأتي متعلقات الفعل أو ما يعمل عمله.

وأنّ الترتيب النحوي المألوف في الجملة الاسمية تقديم المبتدأ وما يتصل به، وتأخير الخبر وما يتصل به، وبعد ذلك تأتي متعلقات الخبر إذا كان الخبر مما يعمل عمل الفعل أو جملة مصدرة بفعل[3].

---

1 . محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية. ص: 9 .

2 . مجدي وهبه وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. ص: 116 .

3 . ينظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م ج1، ص: 350 .

فإن جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير وإن وضعت الكلمة في غير مرتبتها دخلت في باب التقديم والتأخير[1]، فإن قولك: (منح المدير الجائزة خالدا) مثلا ليس فيه تقديم وتأخير فقد جئت بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول الأول ثم المفعول الثاني، فلو جعلت ترتيب الجملة على نحو آخر كأن تقول: (منح خالدا المديرُ الجائزة) أو (خالدا منح المدير الجائزة) أو (خالدا المدير منح الجائزة) أو (خالدا الجائزة منح المدير)، فلو غيرت أيّة كلمة عن موضعها دخلت في باب التقديم والتأخير .

رابعا؛ تعريفات البلاغيين القدامى للتقديم والتأخير :

البلاغيون	تعريف البلاغة
1-الجرجاني (ت471هـ)	"هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضِي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شِعْراً يروقك مَسْمَعُهُ، ويَلْطُف لديكَ موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدِّمَ فيه شيء، وحُوِّلَ اللَّفظ عن مكانٍ إلى مكان"[2].
2-ابن فارس (ت391هـ)	"من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخّر، وتأخيره وهو في المعنى مقدّم"[3].
3/ الزركشي : (ت745هـ)	"هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم. وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق" [4] .
4-ابن الأثير (ت637هـ)	"وهذا باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة، منها ما استخرجته أنا، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان" [5].

1 . فاضل صالح السامرائي : الجملة العربية تأليفها و أقسامها. دار الفكر ، عمان ، ط2 ، 2007م، ص 37 .

2 . عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي : دلائل الإعجاز ، د ط ، د ت ، ص 106 .

3 . أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط 1، 1997 م، ص: 189-190

4 . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن. تح محمد أبو فضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة ط:3، 1984م، ج3، ص: 233.

5 . ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط2، دت، ج 2، ص 210 .

نرى أن البلاغيين قد انتبهوا إلى ظاهرة التقديم والتأخير وأولوها اهتماما بالغا ولا سيما في عهد الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) الذي درس الظاهرة –مستفيداً من معناها النحوي– دراسة بلاغية مفصّلة وأعطى فيها لكل حالة خصوصيتها؛ فهو يشرح لنا أسلوب التقديم والتأخير، بأنه باب فوائده جمّة وحسنة، وأنّه يهدف إلى غاية جمالية محضة وضرب لنا في ذلك مثالا عن الشعر، الذي ترتاح له الأذن والنفس فإذا ما أردتَ معرفة سبب الارتياحِ وجدتَ أنّ الكلام قد قدم فيه شيء وغُيِّرَ فيه شيء آخر عن موضعه الأصلي وقدَّم دراسته هذه وفق منهج علمي دقيق ومنطق عقلي سليم. وقد أدرك الجرجاني بذوقه البلاغي المتميز القيمة الجمالية والطاقة التعبيرية التي تتأتى من خلال ثنائية التقديم والتأخير. وكذا ابن فارس الذي اعتبر هذه الثنائية من سنن العرب في كلامها. ولغتنا مأخوذة من كلام العرب، وذلك بفضل ذوقه البلاغي المتميز، كما لا ننسى الزركشي الذي اعتبر التقديم والتأخير أحد الأساليب البلاغية ومعيارا من معايير الفصاحة فهو وإن دلّ على شيء فإنما يدلّ على ثقافتهم الواسعة وسعة اطلاعهم، كما أشار أيضا إلى أهمية هذا الأسلوب في الكلام حيث أنه ينقاد لهم كيفما يشاؤون، وتبعهم في ذلك "ابن الأثير" (ت637 هـ) الذي نوّه إلى أنه من أوسع المباحث والأبواب كونه يحتوي في كنفه أسرارا دقيقة، وإذا كان ذلك كذلك وهو كذلك فهذا الأسلوب يحوي أقساما وأسبابا وأغراضا سنوردها لاحقا .

2- أقسام التقديم والتأخير :

لما كان للتقديم والتأخير أهمية في الدرس البلاغي وبالخصوص في القرآن الكريم فقد نال حظا وافرا من الدراسة من قبل النحويين والبلاغيين حيث أولوه اهتماما زائدا لشرف اللغة

العربية، ويظهر ذلك بشكل خاص في تقسيمهم إياه إلى أقسام وأنواع، فمنهم من جعله قسمين، ومنهم من جعله ثلاثة أقسام، وهناك من جعله في ثلاثة مباحث تتعلق باعتبارات الإسناد وهي: المسند والمسند إليه، ومتعلقات الفعل، وهذا ما لاحظناه عند كل من السكاكي والخطيب القزويني .

أولا؛ عند عبد القاهر الجرجاني: يرى عبد القاهر الجرجاني أن التقديم على وجهين:

أ- تقديم على نيّة التأخير :

وهو عنده يكون في كل شيء؛ أي: «في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه» [1] .

كما أعطى مثالا على ذلك بخبر المبتدأ إذا تمّ تقديمه على المبتدأ، وكذا المفعول إذا قدّم على فاعله؛ كما في قولك: "منطلق زيد" و"ضرب عمرو زيد" فالخبر منطلق لم يتغير حكمه الإعرابي رغم تقديمه، والمفعول عمرو لم يتغير وصفه الإعرابي رغم تقديمه .

ونحو: تقديم الخبر على المبتدأ في (مجتهد الطالب) فأصلها (الطالب مجتهد)، والمفعول إذا قدّمته على الفاعل في قولك: (أكل الطعام أحمد)، فكل من المبتدأ (الطالب)، والمفعول (الطعام) لها المعنى نفسَه وهي مؤخرة. فلم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك، وكونِ ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله، كما يكون إذا أخِّرت.

ب- تقديم لا على نية التأخير:

يقول الجرجاني عن هذا القسم إنه يكون بنقل الشيء عن حكم إلى حكم، ويُجعل له بابا غير بابه، وإعرابا مغايرا لإعرابه، وذلك بأن يجيء المتكلم إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فيقدم هذا تارة على ذلك، وتارة أخرى ذلك على هذا[2] ؛ أي ينتقل فيه الشيء من حكمه إلى حكم آخر، نحو: (صهيب المسرع) و(المسرع صهيب) وكذا قولك: (أكلتُ طعاماً) و(طعامٌ أكلتُهُ).

ثانيا؛ عند ابن الأثير: يرى ابن الأثير أن التقديم والتأخير ضربان:

[1] . عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 106 .

[2] . ينظر: المرجع نفسه ص 106. 107 .

الضرب الأول: يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخّر المقدَّم أو قدِّم المؤخر لتغير المعنى[1]؛ فهو لا يهتم بتأخير المقدَّم أو تقديم المؤخر لغير المعنى بل بما تحمله الألفاظ من دلالة على المعنى .

الضرب الثاني: يختص هذا الضرب بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه ما يوجب له ذلك، ولو أخر لما تغير المعنى، وهذا الضرب يتوجه إلى المعاني لا إلى الرتب النحوية وتتمثل أنواعه في:

1. تقديم السبب على المسبب.
2. تقديم الأكثر على الأقل .
3. تقديم الأفضل فالأفضل .
4. تقديم الأعجب فالأعجب[2].

وقد قسم ابن الأثير الضرب الأول إلى قسمين:

القسم الأول: يكون التقديم فيه هو الأبلغ ، كتقديم المفعول على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل[3]؛ فتقديم المفعول على الفعل في قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" فحسب ابن الأثير: لم يقدّم المفعول فيه على الفعل للاختصاص[4]، وإنما قدّم لمكان نظم الكلام، لأنه لو قال: نعبدك ونستعينك، لم يكن له من الحسن ما لقوله: "إياك نعبد ونستعين" فنحن نرى أنّه تقدّم قوله تعالى: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين"، ثم جاء بعد ذلك قول تعالى: "إياك نعبد وإيّاك نستعين"، لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون، ولو قال: نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة، وزال ذلك الحسن[5]، فابن الأثير خالف البلاغيين والمفسرين جميعهم، والقائلين إنَّ تقديم المفعول في آية الفاتحة للاختصاص كما مرّ ذكره، وهم مع ذلك لا يمنعون أن تكون هناك مع هذه الفائدة المعنوية للتقديم فائدة لفظية، وهي التي اقتصر ابن

---

1 . ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ج 2 ، ص 210 .

2 . المصدر نفسه ، ج 2 ، ص ص 223 ،224 ، 225 .

3 . المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 201 .

4 . نزيه عبد الحميد فراج : من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 1 ، 1997 م ص 31 – 32 .

5 . المرجع نفسه. الصفحة نفسها

الأثير التقديم عليها[1]، ويقول ابن الحديد في الفلك الدائر: "إن كان تقديم المفعول يقتضي الاختصاص كما يراه الزمخشري وجماعة من أهل العربية فلا مانع من أن يكون المراد من قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) الأمرين كليهما: الاختصاص والسجع، ولا منافاة بين هذين المطلوبين"[2].

القسم الثاني :

أن يقدم ما الأولى به التأخير، وهذا ما يعرف بـ (المعاظلة المعنوية)، لأن المعنى يختل بذلك ويضطرب، وقد أشار ابن الأثير في سياق حديثه عن هذا القسم أنه يدخل في باب المعاظلة، والمعاظلة تنقسم إلى قسمين اثنين أحدهما لفظي تحدث عنها في سياق حديثه عن الصناعة اللفظية والآخر معنوي، أرجأ ابن الأثير الحديث عنه إلى هذا الباب، وهو كما ذكر كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف، وتقديم الصلة على الموصوف وأيضا تقديم الصلة على الموصول. وقد ضرب ابن الأثير في ذلك مثالا من قول بعضهم:

فقد والشك بين لي عناء بوشك فراقهم صرد يصيح[3]

فبوشك فراقهم معمول ليصيح ويصيح هي صفة لصرد والشاعر قدم المعمول على الصفة وذلك قبيح في نظر ابن الأثير، فهو يرى أنه كما لا يجوز أن تقدم الصفة على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها[4].

وهذا الضرب من الكلام عنده هو ضد الفصاحة، لأن الفصاحة هي الظهور والبيان، وهذا الضرب خال خلوا تاما من الوصف [5].

أما الضرب الثاني هو ضرب بلاغي كما ذكر ابن الأثير بنفسه في قوله أنه يتوجه إلى المعاني لا إلى الرتب النحوية، ومن ثمة فإن ما يندرج تحت هذا الضرب لا يمكن تحديده لأنه يختلف من شخص لآخر، فهو يعبر عن طريقة المتكلم في ترتيبه لمعاني كلامه، لذلك

1 . ينظر نزيه عبد الحميد فراج : من مباحث البلاغة و النقد بين ابن الأثير و العلوي ، ص 33 .

2 . ابن أبي الحديد : الفلك الدائر على المثل السائر ، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر القاهرة ص:247 –248 .

3 . الصرد : بضم الصاد وفتح الراء : طائر ضخم الرأس يصيد العصافير .

4 . ضياء الدين ابن الأثير : **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج2 ، ص 220 .

5 . المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 223 .

لا يمكن الحكم عليه إن كان أكثر بلاغة في حالة وأنه أقل بلاغة في حالة أخرى. ولهذا قال ابن الأثير التقديم والتأخير في مثل هذا النوع أنه لا يغير المعنى .

ثالثا؛ عند الزركشي:

تناول الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم حيث قسمه إلى ثلاثة أنواع هي: ما قدم والمعنى عليه، ما قدم والنية به التأخير، ما قدم في آية وأخر في أخرى؛ حيث يقول: «وهي إما أن يقدم والمعنى عليه، أو يقدم وهو في المعنى مؤخر، أو العكس»[1].

أ- ما قدم والمعنى عليه: استخرج منها خمسة وعشرين قسما هي:

1- التقدم بالسبق:

هو أنواع منها السبق بالزمان والإيجاد، كقوله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ [الحج: 75]؛ فإن مذهب أهل السنة تفضيل البشر، وإنما قدم الملك لسبقه في الوجود، ومنه تقديم الظلمة على النور في قوله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام:1] فإن الظلمات سابقة على النور في الإحساس، ومنه تقديم الليل على النهار: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ [الإسراء:12]، ولذلك اختارت العرب التاريخ بالليالي دون الأيام، وإن كانت الليالي مؤنثة والأيام مذكرة، وقاعدتهم تغليب المذكر إلا في التاريخ، ومنه تقديم المكان على الزمان في قوله: ﴿خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام:1]؛ أي الليل والنهار، ومنه سبق الوجوب كقوله تعالى: ﴿اركعوا واسجدوا﴾ [الحج: 77]

ومنه سبق التنزيه كقوله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه﴾[البقرة:285]، فبدأ بالرسول قبل المؤمنين، ثم قال:﴿كلّ آمن بالله وملائكته﴾ فبدأ بالإيمان بالله؛لأنه قد يحصل بدليل العقل، والعقل سابق في الوجود على الشرع، ثم قال: (وملائكته) مراعاة لإيمان الرسول، فإنه يتعلق بالملك الذي هو جبريل أولا، ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل، ثم بمعرفة نفسه أنه رسول، وإنما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل عليه السلام وإيمانه، فظهرت الحكمة والإعجاز[2].

---

[1] . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن . ج3 ، ص: 238 .

[2] . المرجع نفسه . ج 3 ، ص: 245 .

2- بالذات:

كقوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ [المجادلة:7]، وقوله: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ [الكهف:22]، وكذلك الأعداد جميعها كلها مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات.

3- بالعلة والسبب :

نحو قوله تعالى:﴿وأنزلنا من السماء ماءا طهورا، لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا﴾ [الفرقان:48-49] قدم إحياء الأرض؛ لأنه سبب إحياء الأنعام والأناسي، وقدم إحياء الأنعام؛ لأنه مما يحيا به الناس، بأكل لحومها وشرب ألبانها.

4- بالمرتبة :

كتقديم "سميع" على "عليم" فإنه يقتضي التخويف والتهديد، فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات وإن من سمع حسّك فقد يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم، وإن كان علم الله تعلق بما ظهر وما بطن.

وكقوله: ﴿غفور رحيم﴾ [البقرة: 173] فإن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

5- بالداعية :

كتقدم الأمر بغض الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ [النور:30] لأن البصر داعية إلى الفرج، لقوله صلى الله عليه وسلم: «العينان تزنيان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

6- التعظيم: كقوله تعالى: ﴿إنّ الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: 56]، وقوله: ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ [المائدة: 55][1] .

7 -الشرف:

هو حسبه أنواع منها: شرف الرسالة كقوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النّبيّ الأميّ﴾ [الأعراف: 157]، وقوله: ﴿وكان رسولا نبيا﴾ [مريم: 54]، لأن الرسول أفضل من النبي.

ومنها شرف الذكورة كقوله تعالى: ﴿إنّ المسلمين والمسلماتِ﴾ [الأحزاب: 35].

[1] . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن. ج 3 ، ص من 246 إلى 251 .

ومنها شرف الحرية كقوله تعالى: ﴿الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد﴾ [البقرة: 178].

ومنها شرف العقل نحو قوله تعالى: ﴿يسبّح له من في السماوات والأرض والطير صافّات﴾ [النور: 41].

ومنها شرف الإيمان كقوله تعالى: ﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أُرسلت به وطائفة لم يؤمنوا﴾ [الأعراف: 87] . وكذلك تقديم المسلمين على الكافرين في كل موضع، والطائع على العاصي، وأصحاب اليمين عن أصحاب الشمال.

ومنها شرف العلم كقوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر:9]

ومنها شرف الحياة كقوله تعالى: ﴿يُخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ﴾ [الروم:19].

ومنها شرف المعلوم نحو: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ [المؤمنون:92] فإن علم الغيبيات أشرف من المشاهدات. ومنه: ﴿يعلم سرّكم وجهركم﴾ [الأنعام: 6].

ومنها شرف الإدراك كتقديم السّمع على البصر، والسميع على البصير؛ لأن السمع أشرف.

ومنها شرف المجازاة نحو: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة...﴾ [الأنعام:160]، ومنها شرف العموم؛ فإن العام أشرف من الخاص كتقديم العفو على الغفور.

ومنها شرف الإباحة للإذن بها كقوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لِما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ [النحل: 116].

ومنها التشريف بالفضيلة كقوله تعالى: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ [النساء:23]، وكتقديم جبريل على ميكائيل؛ لأن جبريل صاحب الوحي والعلم، وميكائيل صاحب الأرزاق، والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية وكتقديم اليمين على الشمال، والأنفس على الأموال، والسماوات على الأرض، والإنس على الجن، والسجود على الركوع، والذهب على الفضة، والشمس على القمر[1].

8- الغلبة والكثرة:

كقوله تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ [فاطر: 32]، قدم الظالم لكثرته ثم المقتصد ثم السابق.

[1] . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص من 252 إلى 259 .

9- سبق ما يقتضي تقديمه :

هو دلالة السياق كقوله تعالى: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ [النحل:6]؛ لما كان إسراحها وهي خماص، وإراحتها وهي بطان، قدم الإراحة لأن الجمال بها حينئذ أفخر.

10- مراعاة اشتقاق اللفظ:

كقوله: ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ [المدثر:37] وقوله: ﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾ [البروج: 13].

11- الحث عليه خيفة من التهاون به :

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين في قوله تعالى: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ [النساء: 11]؛ فإن وفاء الدين سابق على الوصية، لكن قدم الوصية، لأنهم كانوا يتساهلون بتأخيرها بخلاف الدين.

12- لتحقق ما بعده واستغنائه عنه في تصوره:

نحو قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصّالحات﴾ [مريم: 96].

13- الاهتمام عند المخاطب:

كقوله: ﴿فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ [النساء: 86].

14- للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد:

كقوله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ [الأنعام:100] على القول إن (الله) في موضع المفعول الثاني لـ(جعل)، و(شركاء) مفعول أول، ويكون (الجن) في كلام ثان مقدر كأنه قيل: فمن جعلوا شركاء؟ قيل:الجن؛ وهذا يقتضي وقوع الإنكار على جعلهم (لله شركاء) على الإطلاق فيدخل مشركة غير الجن، ولو أخر فقيل: (وجعلوا الجن شركاء لله)، كان الجن مفعولا أولا، وشركاء ثانيا فتكون الشركة مقيدة لا مطلقة؛ لأنه جرى على الجن، فيكون الإنكار توجه لجعل المشاركة للجن خاصة وليس كذلك وفيه زيادة سبقت[1].

[1] . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص من 260 إلى 268 .

15- للتنبيه على أن السبب مرتب:

نحو قوله تعالى: ﴿يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ [التوبة:35] قدم الجباه ثم الجنوب؛ لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولا عن السائل، ثم ينوء بجانبه، ثم يتولى بظهره .

16-التنقل:

هو أنواع: إما من الأقرب إلى الأبعد كقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً﴾ [البقرة:21 -22] قدم ذكر المخاطبين على من قبلهم، وقدم الأرض على السماء، وإما العكس نحو قوله في أول سورة الجاثية: ﴿إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين، وفي خلقكم وما يبث من دابة﴾ [الجاثية: 3-4]، وإما من الأعلى كقوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [آل عمران: 18]، وإما من الأدنى نحو قوله تعالى: ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ [الكهف:49].

17- الترقي:

كقوله تعالى: ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها﴾ [الأعراف: 195] فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لغرض الترقي.

18- مراعاة الإفراد :

لأن المفرد سابق على الجمع نحو قوله تعالى: ﴿المال والبنون﴾ [الكهف: 46] .

19- التحذير منه والتنفير عنه:

نحو قوله: ﴿زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة﴾ [آل عمران: 14]؛ لأن المحنة بهن أعظم من المحنة بالأولاد .

20- التخويف: مثل قوله تعالى: ﴿منهم شقي وسعيد﴾ [هود:105].

21- التعجيب من شأنه :

كقوله تعالى: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ [الأنبياء:79]، قدم الجبال على الطير؛ لأنها أعجب، وأدخل في الإعجاز[1].

[1] . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص من 268 إلى 273 .

22- كونه أدل على القدرة:

نحو قوله تعالى: ﴿فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع﴾ [النور:45].

23- قصد الترتيب:

كما في آية الوضوء، فإن إدخال المسح بين الغسلين، وقطع النظر عن النظير مع مراعاة ذلك في لسانهم دليل على قصد الترتيب.

24- خفة اللفظ:

كما في قولهم: (ربيعة ومضر)؛ لأنهم لو قدموا مضر لتوالى حركات كثيرة، وذلك يثقل فإذا قدموا ربيعة ووقفوا على مضر بسكون الراء نقص الثقل لقلة الحركات المتوالية .

25- رعاية الفواصل:

كتأخير الغفور في قوله: ﴿لعفو غفور﴾ [الحج:60]، وقوله: ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ [مريم: 54][1].

ب- ما قدم والنية به التأخير :

فمنه ما يدل على ذلك الإعراب كتقديم المفعول على الفاعل في نحو قوله تعالى: ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾ [فاطر:28]، وكتقديم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ [الحشر:2] ولو قال: ﴿وظنوا أن حصونهم مانعتهم﴾ لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم. ومنه ما يدل على المعنى كقوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية:23] وأصل الكلام: (هواه إلهه) كما تقول: (اتخذ الصنم معبودا)، لكن قدم المفعول الثاني على الأول للعناية [2] .

ج- ما قدم في آية وأخر في أخرى:

من ذلك قوله في فاتحة سورة الفاتحة: ﴿الحمد لله﴾ [الفاتحة:1]، وفي خاتمة الجاثية: ﴿فلله الحمد﴾ [الجاثية:36] فتقديم (الحمد) في الأول جاء على الأصل، والثاني على تقدير الجواب.

---

[1] . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن. ج 3 ، ص: 273 – 274 .

[2] . نفسه ، ص: 275 – 277 .

ومن أنواعه أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها، وذلك كقوله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم﴾ [آل عمران: 106].

ومنها أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر، واللفظ واحد، والقصة واحدة؛ للتفنن في الفصاحة، وإخراج الكلام على عدة أساليب، كما في قوله تعالى: ﴿وادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطة﴾ [البقرة:58]، وقوله: ﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سجّدا﴾ [الأعراف:161][1].

رابعا؛ عند جلال الدين السيوطي:

تناول جلال الدين السيوطي التقديم والتأخير في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"، وهو عنده قسمان:

أ- ما أشكل معناه بحسب الظاهر:

يقول: «ما أشكل معناه بحسب الظاهر، فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير اتضح وهو جدير أن يفرد بالتصنيف، وقد تعرض السلف لذلك في آيات:

إذْ أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا﴾ [التوبة:85] قال: «هذا من تقاديم الكلام، يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة»[2].

ب- ما ليس كذلك :

قال: «وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه"المقدمة في سر الألفاظ المقدمة". قال فيه: الحكمة الشائعة الذائعة في ذلك الاهتمام، كما قال سيبويه في " كتابه ": كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى»[3].

وقد أورد في أسباب وأسرار التقديم في هذا القسم الثاني عشرة أنواع، يقول: «وأما في تفاصيل أسباب التقديم وأسراره فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع»[4]، وهذه الأنواع هي:

---

[1] . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن. ج 3، ص: 284- 287 .

[2] . تفسير ابن أبي حاتم، 6 / 1858 (10208) عن : أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص 446 .

[3] . أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ص 447 .

[4] . السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ص: 447 .

التبرك، التعظيم، التشريف، المناسبة، الحث عليه والحض على القيام به حذرا من التهاون به، السبق، السببية، الكثرة، الترقي من الأدنى إلى الأعلى، والتدلي من الأعلى إلى الأدنى.

3- أسباب التقديم والتأخير :

من المتعارف عليه أن الجملة العربية تتكون من مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل ومتعلقات الفعل، فالجملة إذن تتكون من مسند ومسند إليه ومقيدات، وأن الأصل في الكلام أن يتقدم المبتدأ على الخبر، والفعل على الفاعل، والفعل على المفعول لكن المعنى قد يقتضي تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول على الفعل، وتقديم متعلقات الفعل على المعمول فما هي أهم هذه الأسباب التي دعت إلى الإخلال بالترتيب المتعارف عليه في القواعد العربية؟.

هناك العديد من الأسباب والدواعي لتقديم المبتدأ والخبر ومتعلقات الفعل من فاعل ومفعول به وظرف وجار ومجرور وغيرها، ولعل أهم الأسباب جميعا أن ذكره أهم من ذكر غيره، قال الجرجاني: «واعلم أنّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل، غير العناية والاهتمام»[1] وعلى هذين السببين اللذين ذكرهما الجرجاني أي العناية والاهتمام مدار التقديم والتأخير، وقد تكون هنالك أسباب أخرى تدعو إلى التقديم والتأخير سنعرج عليها فيما يلي من عناصر ضاربين أمثلة توضيحية:

1- تقديم المبتدأ:

قد يتقدم المبتدأ على الخبر لأسباب أهمها :

- أنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه: كتقديم المبتدإ على الخبر[2]؛ كقولك: (سلامةُ الإنسان في حفظ اللسان)، نلاحظ في هذه الجملة أن المبتدأ (سلامة) متقدم على الخبر وهو (في حفظ)؛ لأن الأصل تقديمه، أو إذا كان مما له الصدارة في الكلام كأسماء الاستفهام وضمير الشأن[3]؛ كقولنا: (أيهم منطلقٌ؟)، و(هو قائمٌ) فوجب تقديمها.

---

[1] . أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني : دلائل الإعجاز ، قرأه و علق عليه محمود محمد شاكر مطبعة المدني ، القاهرة ، ط3 ، 1992م ، ص 107 .

[2] . يوسف أبو العدوس : مدخل إلى البلاغة العربية. دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان ، ط1، 2007م، ص 98 .

[3] . شرف الدين الطيبي : لطائف التبيان في علمي المعاني و البيان ، تح عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة ، ط1 ، 1997م ، ص 69 .

- تعجيل المسرة أو المساءة[1]: نحو: (نجاحك في صحف هذا الصباح) في هذه الجملة المتكلم يهمّه أن يعجل للمستمع السرور فقدم المبتدأ (نجاحك) لأن في تقديمه تحقيقا للتفاؤل، أما في جملة (هزيمتك على كل لسان)؛ فالمتكلم يروم تعجيل المساءة لمستمعه فقدم المبتدأ (هزيمتك)؛ لأن في تقديمه تحقيقا للمراد .
- التعظيم: لأن تقديمه مشعر بالتعظيم في مقامه[2]؛ نحو: (خاتمُ الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم).
- التبرك: كتقديم اسم الله تعالى في الأمور ذوات الشأن[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ [البقرة:255].
- التشويق إلى الخبر: إذا كان في المبتدإ غرابة[4]، ليتمكن الخبر في ذهن السامع[5] كقولك: (صديقك المسافر في الغد رجلٌ صدوق).
- تخصيص المبتدإ بالخبر إثباتا أو نفيا: نحو: (أنا سعيت في حاجتك) يفهم من تقديم المبتدإ (أنا) تخصيصه بالخبر ردا على من يزعم أن غيرك انفرد بالسعي في حاجته أو زعم كونه مشاركا لك فيه[6]، بمعنى أنني خصصت نفسي بالسعي في حاجتك دون غيري، هذا في الإثبات، أما في النفي كقول المتنبي:

وما أنا أسقَمتُ جسمي به ولا أنا أضرمتُ في القلب نارا [7]

- التعميم: في نحو (كل) إذا كان بعده نفي غير عامل فيه نحو (كل ذلك لم يكن) جوابا من النبي صلى الله عليه وسلم لذي اليدين حين قال له وقد سلم من ركعتين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله فأجابه بعموم النفي قائلا: (كل ذلك لم يكن)[1]

---

[1] . حفني ناصف و محمد دياب و سلطان محمد و مصطفى طموم : دروس البلاغة ، عني به أحمد السنوسي أحمد ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 ، 2012م ، ص 45 .

[2] . شرف الدين الطيبي : لطائف التبيان في علمي المعاني و البيان ، ص 70 .

[3] . أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، علق عليه مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، سوريا ، ط1 ، 2008م ، ص 447 .

[4] . ينظر : حفني ناصف و محمد دياب و سلطان محمد و مصطفى طموم : دروس البلاغة ، ص 45 .

[5] . ينظر : محمد البسيوني البيباني : حسن الصنيع في علم المعاني و البيان و البديع ، مطبعة ديوان عموم المعارف ، بسرا ، ط1 ، 1301هـ ، ص 32 .

[6] . حسن بن عثمان بن الحسين المفتي : خلاصة المعاني ، ص 135 .

[7] . عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان المتنبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1986م ، ج2 ، ص 197 .

2- تقديم الخبر :

- التشويق إلى المبتدأ: ويكثر ذلك في باب المدح[2] كقول الشاعر:

ثلاثة ليس لها إيابُ الوقتُ والجمالُ والشبابُ[3]

حيث قدم الخبر (ثلاثة) وأخر المبتدأ لإفادة التشويق، وأصل الكلام: الوقت والجمال والشباب ثلاثة ليس لها إياب.

- التنبيه على أن المقدم خبر للمبتدإ لا نعتا له[4]: نحو: (لك نعمٌ لا تُنسى) فلو أخر الخبر مراعاة للأصل لالتبس بالنعت للمبتدإ (نعمٌ) فقدمه لتنبيه السامع من أول الأمر على أنه خبر لا نعت، وكقوله تعالى: ﴿ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حينٍ﴾ [البقرة:36].
- تخصيص الخبر بالمبتدإ[5]: (بيد الله الحياةُ والموت) يريد المتكلم أن يخصص الخبر (بيد الله) بالمبتدإ وهو (الحياة والموت)؛ فقدمه ليفيد هذا التخصيص .

3- تقديم متعلقات الفعل:

كتقديم المفعول به، والحال، والظرف، والجار والمجرور لعدة أسباب بلاغية نوردها كما يلي:

أ-المفعول به :

الأصل في الجملة الفعلية أن يتقدم الفعل على الفاعل والمفعول به لكن قد يتقدم المفعول به على الفعل والفاعل لاعتبارات عدة أهمها:

- التخصيص بالفعل: كقولك: (زيداً ضربتُ) فأنت خصصت زيدا بالضرب دون غيره بخلاف قولك: (ضربتُ زيدا)؛ لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي

---

[1] . محمد البسيوني البيباني: حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع. ص: 33 .

[2] . أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع. دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 1993م، ص: 106 وينظر: محمد البسيوني البيباني : حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع. ص 35 .

[3] . محمد علي السراج : اللباب في قواعد اللغة و آلات الأدب ، تح خير الدين شمسي باشا ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، د ت ، ص 165 .

[4] . عبده عبد العزيز قلقيلة : البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3 ، 1992م ، ص 208 .

[5] . ابن الناظم بدر الدين بن مالك : المصباح في المعاني و البيان و البديع ، تح حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ، الجماميز ، ط1 ، 1989م ، ص 38 .

مفعول شئت؛ كأن تقول: ضربتُ خالدا، أو بكرا أو غيرهما، وإذا أخرته لزم الاختصاص[1].

- العناية به والاهتمام بشأنه[2]: كقوله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ [يس: 39]، ونحو قولك: (الوفيَّ صاحِبْ) فالمفعول به (الوفيّ) في نظر المتكلم أهم من الفعل (صاحِبْ) فقدمه للعناية والاهتمام به
- المشاكلة: لمراعاة حسن الانتظام واتفاق أعجاز الكلم السجعية[3]؛ كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوهُ﴾ [الحاقة:30-32]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلا تَقهَرْ وأَمَّا السَّائلَ فَلا تَنهَر﴾ [الضحى:9-10].
- تقوية الحكم وتقريره : لما في ذلك في تكرير الإسناد[4]، نحو: (محمد نجح) فتكون قد قويت الحكم وأقررته بإسناد النجاح إلى محمد مرتين مرة إلى اسمه ومرة إلى ضميره[5] ولهذا كان (محمد نجح) أبلغ من (نجح محمد).
- التبرك أو التلذذ[6]: نحو: (اللهَ سألتُ) حيث قدم المتكلم المفعول به (اللهَ) تبركا، وقدم المفعول به (خاتمَ) في جملة (خاتمَ المرسلين صلى الله عليه وسلم أحببتُ) تلذذا لأن التقديم يفيد ذلك .

ب- الجار والمجرور: يتقدم الجار والمجرور كونه:

- موضع الإنكار والاستغراب[7]: مثل: (أمن أبيك تخاف؟) فالمتكلم هنا ينكر على مخاطبه خوفه من والده فقدم الجار والمجرور ليفيد الاستغراب والإنكار.

---

[1] . ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ص 210-211 .

[2] . د/ فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني. ص 236 .

[3] . يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني: الطراز. المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2002م، ج2، ص 38 .

[4] . مصطفى الصاوي الجويني : البلاغة العربية تأصيل و تجديد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د ط ، 2002م ، ص 32 .

[5] . عبده عبد العزيز قلقيلة : البلاغة الاصطلاحية ، ص 205 .

[6] . عيسى علي العاكوب و علي سعد الشتيوي : الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني ، البيان ، البديع ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ط1 ، 1993م ، ص 222 .

[7] . عيسى علي العاكوب و علي سعد الشتيوي : الكافي في علوم البلاغة العربية ، ص 222 .

- لأن في التأخير إخلالا ببيان المعنى[1]: نحو قوله تعالى: ﴿وقالَ رَجلٌ مؤمنٌ من آل فِرعونَ يكتمُ إيمانهُ﴾ [غافر:28] فإنه لو أخر الجار والمجرور (من آل فرعون) عن قوله: (يكتم إيمانه) لفُهم أنه يكتم إيمانه من آل فرعون وليس منهم أي من آل فرعون.

ج- الظرف: يتقدم الظرف لتحقيق أغراض بلاغية منها:

- التشويق[2]: كقولنا: (اليوم لك عندي جائزة).
- محط الإنكار: كقول الشاعر:

أبعدَ المشيبِ المنقضي في الذرائب تحاول وصلَ الغانياتِ الكواعبِ[3]

قدم الظرف (بعد المشيب) لكونه محط الإنكار بالاستفهام .

- النفي: كما في قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [البقرة:2] فإن القصد في إيلاء حرف النفي (الريب) نفي الريب عنه، وإثبات أنه حق، ليس كما يزعم المشركون، ولو أولاه الظرف وقال (لا فيه ريب) لكان قد قصد أن كتابا آخر فيه الريب لا في هذا الكتاب و ذلك محال [4] .

د- الحال : يقدم لتحقيق ما يأتي:

- دفع الخطأ: نحو: (راكبًا جاء زيدٌ) فتقدم الحال لمن يظن خلاف ذلك كأن يعتبره جاء ماشيا على الأقدام[5].

---

[1] . سعد الدين التفتازاني : شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني في المعاني و البيان و البديع ، تعليق عبد المتعال الصعيدي ، المطبعة المحمودية التجارية ، الأزهر ، د ط ، 1356هـ ، ج1 ، ص 178 .

[2] . عبد العزيز بن علي الحربي : البلاغة الميسرة ، دار ابن حزم ، لبنان ، ط2 ، 2011م ، ص 32 .

[3] . سعد الدين التفتازاني: شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني في المعاني والبيان والبديع. ص: 175

[4] . ابن أبي الحديد : الفلك الدائر على المثل السائر ، تح : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار الرفاعي ، الرياض، ط2 1984م ، ص 241 .

[5] . محمد المحفوظ بن محمد الأمين التواجوي الشنقيطي : المداخل الأولية في علوم العربية ، مكتبة الأقصى ، الدوحة ، ط1 ، 1995م ، ص 129 .

4- الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير:

إضافة لأسباب التقديم والتأخير هناك أغراض بلاغية أخرى مثل:

1- للضرورة :

ومنها أنه تدعو إليه ضرورة الشعر، كقول الشاعر:

سريع إلى ابن العمِّ يلطمُ وجهــه وليس إلى داعي النّدى بسريع

وقول آخر:

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت بحمد إلهي وهي منه سَلِيبُ [1]

2- سلب العموم:

المراد به تقديم أداة النفي على أداة العموم، نحو: (ما كل ما يُعلَمُ يُقالُ)، قدم أداة النفي (ما) على (كل)، يريد: (لا يُعلم كلّ القول بل بعضه)[2].

3- عموم السلب:

للحكم على كل فرد نحو: (كل إنسان لم يقم)، فإنه يفيد نفي القيام عن كل واحد من أفراد الإنسان، بخلاف ما إذا أخر نحو: (لم يقم كل إنسان)، فإنه يفيد نفي الحكم عن مجموع الأفراد لا عن كل فرد، أما إذا وقعت كل في حيز النفي بأن تقدمت عليها أداته فهي لنفي الشمول لا لنفي كل فرد[3]؛ كقول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرءُ يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السُّفنُ[4]

4- التشريف وقصد الحث عليه:

كقوله تعالى: ﴿المسلمين والمسلمات﴾ [الأحزاب:35]، قالوا: بدأ بالأشرف.

وأما في قوله تعالى: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دَين﴾ [النساء:11]، فقد قدم الوصية مع أن الدين مقدم عليها شرعا حثًا عليها حذرا من التهاون بها[1].

---

[1] . عبد المتعال الصعيدي : البلاغة العالية ، راجعه عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب و مطبعتها ، الجماميز ، ط2 ، 1991 ، ص 86 .

[2] . محمد علي السراج : اللباب في قواعد اللغة و آلات الأدب ، ص 165 .

[3] . محمد بن العربي الهلالي اليعقوبي : يواقيت المشتري من جوهر الأخضري فن البلاغة ، طبع في المغرب ، 1991م ، ص 36 .

[4] . عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان المتنبي ، ج4 ، ص 366 .

5- التنبيه والتحقيق:

كقولك: (عبدُ الله ضربتهُ) فتقديمك لـ (عبد الله) تنبيه لك للمخاطب أن الذي ضربته هو عبد الله لا شخصا آخر، و"ذاك أنّ التنبيه لا يكون إلا على معلوم"[2].

6- مناسبة المتقدم لسياق الكلام:

كقوله تعالى: ﴿يريكم البرق خوفا وطمعا﴾ [الروم:24]، لأن الصواعق تقع مع أول برقة ولا يحصل المطر إلا بعد توالي البرقات[3].

7- شرف المقدم وعلو رتبته:

ومثال ذلك تقديم اسمه تعالى في قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [النساء:59]، وقوله أيضا: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ [المؤمنون:50][4].

8- القصر:

مثلا كقولك: (قاهري أنا) فقد قصرت نفسك على موطن القاهرة، دون أن تتجاوزها إلى الإسكندرية، وكقوله تعالى:﴿إن حسابهم إلا على ربّي﴾[الشعراء:113]؛ أي حسابهم مقصور على ربي، وليس على أحد سواه[5].

9- تعجيل إظهار تعظيمه أو احتقاره:

مثال الأول قولك: (محمد نبينا)، (الله ربنا)، والثاني كقولك: (الجاهل غائب عن المجلس)[6].

---

[1] . خالد بن عثمان السبت : قواعد التفسير جمعا و دراسة ، دار ابن عفان ، ط1 ، 1421هـ ، مج 1 ، ص 380 – 381

[2] . عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 131 و 154 .

[3] . جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص 448 .

[4] . أحمد أحمد البدوي : من بلاغة القرآن ، نهضة مصر للطباعة و النشر ، مصر ، 2005م ، ص 93 .

[5] . عبد القادر حسين : فن البلاغة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط2 ، 1984م ، ص 107 ، 108 .

[6] . كريمة محمود أبو زيد : علم المعاني دراسة و تحليل ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1988م ، ص 91 .

5/ فائدة التقديم والتأخير:

يقول عبد القاهر الجرجاني في فائدة التقديم والتأخير: «هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان»[1]. ففائدته تكمن في زيادة جمال اللفظ ولو كان ذلك على حساب الترتيب الطبيعي المألوف للجملة العربية من أجل صياغة حسنة للتعبير، والوصول بالعبارات إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارات راقية ذات رونق وجمال تستسيغه أذن السامع، فلا غرو أن نجد الإمام عبد القاهر الجرجاني يحتفي بهذا الأسلوب ويورد له فصلا في كتابه "دلائل الإعجاز" مما يوحي لنا بأهمية هذا المبحث وفائدته العظيمة .

وقد تحدث ابن جني في خصائصه عن التقديم والتأخير تحت باب أسماه "باب في شجاعة العربية"[2]؛ وقد اعتبره مظهرا من مظاهر الشجاعة العربية كونه: "يدور حول معنى مخالفة المألوف في الاستعمال لذلك أطلق على تحدي الشاعر لمقررات اللغة اسم شجاعة"[3] يقول ابن جني بعد استعراضه لمجموعة من الظواهر اللغوية إضافة لظاهرة التقديم والتأخير ضمن "باب في شجاعة العربية": «فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه وإن دل من وجه على جوره وتعسفه، فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمطه[4]. وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته... وإن الشاعر إذا أورد منه شيئا فكأنه لأنسه

---

[1] . عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي : دلائل الإعجاز ، ص 106 .

[2] . أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص ، تح محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، د ط ، 1957م، ج2 ص: 360 .

[3] . ينظر عبد الحكيم راضي : الفكر البلاغي في كتاب الخصائص صنعة أبي الفتح عثمان بن جني ج2 ، سلسلة الذخائر ، العدد 147 ، 1 يونيو 2006م ، ص 11 و 21 .

[4] . يقال : تخمط الفحل : هدر و ثار . و تخمط : تكبر .

بعلم غرضه وسفور مراده لم يرتكب صعبا ولا جشم إلا أمما[1]، وافق بذلك قابلا له أو صادف غير آنس به، إلا أنه قد استرسل واثقا، وبنى الأمر على أن ليس ملتبسا»[2].

خلاصة:

مما سبق يعد أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب المهمة في اللغة العربية لاتصاله بالمعنى، فكل تقديم وتأخير يهدف من ورائه الشاعر والأديب الوصول إلى غايته التي من أجلها أنشأ عمله فهذه الحرية في التقديم والتأخير "مكنت المتحدث من التعبير عن المعاني بدقة قد لا ترقى إليها سواها"[3].

فالتقديم والتأخير في اللغة العربية لم يكن ضربا من العشوائية ولا ضعفا في اللغة، ولكن كان له ما يفسره ويعلله لما كانت له دواع اقتضاها التعبير أو المقام أو السياق الذي ورد فيه، وقد لاحظنا أن القيمة البيانية له تكمن في الوعي باستعماله في موضعه، وإلا كان لا قيمة له ولا فائدة بل ربما أدى إلى فساد في المعنى.

[1] . هو اليسير ، والبين من الأمر .

[2] . ابن جني : الخصائص. ج2 ، ص: 392-393 .

[3] . محسن علي عطية: الأساليب النحوية عرض وتطبيق. دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م، ص:279

الفصل الثاني؛
التقديم والتأخير عند فاضل السامرائي

توطئة:

قبل أن نتعمق في دراسة التقديم والتأخير عند فاضل صالح السامرائي في هذا الفصل التطبيقي، كما فعلنا في الفصل النظري مع أهم البلاغيين، ارتأينا أن نستهله ببطاقة فنية موجزة حول كتابه "التعبير القرآني" بما أن اختيارنا قد وقع عليه من بين كتبه العديدة كمدونة لدراستنا.

- **بطاقة فنية حول كتاب "التعبير القرآني" لفاضل صالح السامرائي:**

1- معلومات حول الكتاب: كتاب "التعبير القرآني" للدكتور فاضل صالح السامرائي طبع في دار عمار وجمعية عمال المطابع التعاونية بعمان، رقم الطبعة:4، نشر سنة:2006م، الموافق لـ:1427هـ، عدد صفحاته:354 صفحة، قام بتأليفه: الدكتور فاضل صالح السامرائي.

2- التعريف بفاضل السامرائي، صاحبِ الكتاب: فاضل صالح السامرائي؛ من مواليد 1933م بمدينة سامراء، أخذه والده منذ نعومة أظفاره إلى مسجد حسن باشا أحد مساجد سامراء لتعلم القرآن الكريم، وكشف ذلك عن حدة ذكاءه، حيث تعلم القرآن الكريم في مدة وجيزة، ثم أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية في سامراء، ثم انتقل إلى بغداد في مدينة الأعظمية ليدخل دورة تربوية لإعداد المعلمين، وتخرج فيها عام1953م، وكان متفوقا في المراحل الدراسية كافة، ثم عين معلما في مدينة بلد عام1953م، وبعدها أكمل دراسته في دار المعلمين العالية بقسم اللغة العربية (كلية التربية) عام1957م، وتخرج فيها عام 1961م حاز درجة (بكالوريوس) بتقدير امتياز، ورجع إلى التدريس في الثانوي، وفي أول دورة فتحت للدراسات العليا في العراق دخل في قسم الماجستير (القسم اللغوي) وحاز درجة الماجستير في كلية الآداب وفي السنة نفسها عين معيدا في قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة بغداد، ومن جامعة عين شمس في كلية الآداب في قسم اللغة العربية، نال شهادة الدكتور عام 1968م. ثم عاد إلى العراق، وعين في كلية الآداب بجامعة بغداد بعد دمج كلية التربية بكلية الآداب، وعين عميدا لكلية الدراسات الإسلامية المسائية في السبعينات إلى حين إلغاء الكليات الأهلية في العراق، بعدها أعير إلى جامعة الكويت للتدريس في قسم اللغة العربية عام 1979م ثم رجع إلى العراق، أصبح خبيرا في لجنة الأصول في المجمع العلمي العراقي عام 1983، وعين عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي عام 1996م.

أحيل إلى التقاعد عام 1998م، بعد ما قضى ما يقارب أربعين عاما أستاذا للنحو في جامعة بغداد في التدريس، رحل إلى الخليج العربي، ليعمل أستاذا في جامعة عجمان التي أمضى فيها سنة ثم انتقل إلى جامعة الشارقة أستاذا لمادة النحو والتعبير القرآني عام 1999م إلى الآن[1] .

له كتب أهمها:

- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل .
- التعبير القرآني .
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني .
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها .

تناول فيه مؤلفه الجانب الديني والإعجاز القرآني ضمن 15 مبحثا وردت مرتبة في مصنفه كالآتي:

. تقديم .

. التعبير القرآني .

. البنية في التعبير القرآني .

. التقديم والتأخير .

. الذكر والحذف .

. التوكيد في القرآن الكريم .

. التشابه والاختلاف .

. فواصل الآي .

. السمة التعبيرية للسياق .

. الحشد الفني .

. الحشد الفني في القصص القرآني .

. قصة سيدنا آدم عليه السلام .

1 . قصة آدم في سورتي البقرة والأعراف .

2 . قصة آدم في سورتي الأعراف و(ص) .

[1]. ويكيبيديا الموسوعة الحرة : http://ar.wikipedia.org 31/ مارس/ 2014 ، 20:25 .

3 . قصة آدم في سورتي الحجر و(ص) .

. قصة سيدنا موسى عليه السلام .

1 . في البقرة والأعراف .

2 . في الأعراف والشعراء .

. تفسير سورة التين.

في هذا الكتاب دراسات وبحوث حول موضوع الأسلوب القرآني، ففي (التقديم) تحدث بشكل موجز عن سبب إعجاز القرآن الكريم، وفي مبحث (التعبير القرآني) تناول دقة التعبير القرآني حيث يقول عنه: «إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله»[1]، أما في مبحث (البنية في التعبير القرآني) فاشتغل فيه على استعمال القرآن الكريم الدقيق للكلمة كاستعمال الاسم والفعل، واستعمال الأبنية الأخرى كأن يأتي بالفعل ثم لا يأتي بمصدره بل يأتي بمصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق فيجمع بين معنى الفعل ومعنى المصدر، وغيرها، إضافة إلى الأساليب اللغوية تناول فاضل السامرائي بعض الأساليب البلاغية؛ كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتوكيد، والتشابه والاختلاف، وفواصل الآي، حيث أوفى لكل أسلوب حقه بالبحث والتنقيب مستشهدا بآيات من الذكر الحكيم، ثم يلي ذلك مبحث (السمة التعبيرية للسياق) حيث درس فيه السياق الذي ترد فيه الآية والألفاظ، وفي مبحث (الحشد الفني)، قد تجاوز الحديث عن الألفاظ إلى الآيات؛ حيث بين بعض الفروق اللطيفة بين الآيات حسب سياق ورودها، ووجه الإعجاز في ذلك، وحتى لا يكون الأمر مقصورا على الجانب اللغوي والبلاغي في ألفاظ وآيات القرآن تطرق إلى أسلوب فني آخر هو القصة القرآنية في مبحث (الحشد الفني في القصص القرآني) الذي أورد بعده قصتين لنبيين هما (آدم) و(موسى) عليهما السلام حيث جعل لكل منهما مبحثا تطرق فيه إلى قصتيهما في بعض السور التي ذكرا فيها مع عقده لموازنة بينها وفي الأخير ينهي كتابه بمبحث بعنوان: (تفسير سورة التين) حيث استخرج منها ما جادت به قريحته العلمية، فالمؤلف في كتابه وطوال 354 صفحة يطوف بك بين اللطائف البيانية والتناسق الجميل والمحكم للآيات وسور القرآن بأسلوب أدبي وعلمي شيق يدعوك إلى التدبر

[1] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني ، دار عمار ، عمان ، ط4 ، 2006م ، ص 10 .

وإمعان النظر في القرآن الكريم لتعرف مدى عظمته وحسن إحكامه وصدق الله عز وجل القائل: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ [التين:8] بلى، ونحن على ذلك من الشاهدين.

مقدمة:

اهتم علماء البلاغة بمبحث التقديم والتأخير اهتماما بالغا تجلى في إفرادهم له مكانا في مصنفاتهم، حيث أولوه جل رعايتهم من خلال التنقيب على مختلف ثرواته البلاغية والجمالية، ويتجلى ذلك بشكل خاص في مباحث تقديم المسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل لعل أهم هؤلاء الذين تعرضوا له بالدراسة والتمحيص الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي وصفه بأنه: «هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان»[1]، ويكفي أنه أشاد بمكانة التقديم والتأخير وأن النظرة الدونية له هي التي هونت أمره؛ حيث يقول: « وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: (إنه قدم للعناية ولأن ذكره أهم)، من غير أن يذكر، من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر (التقديم والتأخير) في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف»[2].

ولكن ما يعنينا في هذا الفصل أن نعرف كيف تناول فاضل صالح السامرائي التقديم والتأخير؟ هل كان يذكر أغراضه وألوانه ويبرز جمالياته وأهميته في بعض الآيات القرآنية؟ أم كان يعالج به آيات من القرآن الكريم مكتفيا بالمقدم والمؤخر؟.

[1] . عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي : دلائل الإعجاز. ص: 106 .

[2] . المرجع نفسه. ص: 108 .

التقديم والتأخير عند فاضل صالح السامرائي:

1) أحوال التقديم والتأخير :

قسم فاضل صالح السامرائي التقديم والتأخير إلى قسمين في قوله: «يمكننا تقسيم أحوال التقديم والتأخير إلى قسمين:

الأول: تقديم اللفظ على عامله نحو: (خالدا أعطيت) و: (بمحمد اقتديت).

الثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وما أهل به لغير الله﴾ [البقرة:173]، ومثل: (أعرت خالدا كتاب) و(أعرت كتابي خالدا)»[1].

أ- تقديم اللفظ على عامله:

حيث تناول في الأول: تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ، ونحو ذلك، وأوضح أن التقديم في هذا الجزء الأول يفيد في الغالب الاختصاص يقول: «وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص فقولك: (أنجدت خالدا) يفيد أنك أنجدت خالدا ولا يفيد أنك خصصت خالدا بالنجدة بل يجوز أنك أنجدت غيره أو لم تنجد أحدا معه، فإذا قلت: (خالدا أنجدت) أفاد ذلك أنك خصصت خالدا بالنجدة وأنك لم تنجد أحدا آخر»[2]. وذكر أن مثل هذا التقديم كثير في القرآن الكريم .

ب- تقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل:

أما في الثاني فقد تعرض لمقامات وسياق القول التي يقتضيها تقديم الألفاظ بعضها على بعض، وأن تقديم الألفاظ بعضها على بعض ليس كونها لفظة معينة، وإنما للعناية والاهتمام، وذلك بحسب مقتضى الحال يقول: «والعناية باللفظة لا تكون من حيث إنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال، ولذا كان عليك أن تقدم كلمة في موضع ثم تؤخرها في موضع آخر لأن مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذاك»[3]. وقد تناول أغراض وأسباب كل من القسمين.

---

[1] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني ، ص 49 .

[2] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني ، ص 49 .

[3] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني ، ص 51 – 52 .

2) أغراض التقديم والتأخير (إحصاء):

بعد ذكر أنواع التقديم والتأخير التي تناولها فاضل السامرائي، نستعرض الأغراض البلاغية التي استخرجها من القرآن الكريم في القسمين كليهما:

أ- تقديم اللفظ على عامله :

في هذا الجزء الأول تناول السامرائي أسباب وأغراض تقديم كل من المفعول به على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما.

. تقديم المفعول به: يرى فاضل السامرائي أن سبب تقديم المفعول به (إياك) في قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: 5-6] على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية فلم يقل: (إيانا.. اهدنا) كما قال في الأولين؛ وسبب ذلك أن العبادة والاستعانة مختصتان بالله تعالى، فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ [الزمر:66]، وقوله: ﴿واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ [البقرة:172]، فقدم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين وذلك لأن العبادة مختصة بالله تعالى.

ومن التقديم الذي لا يفيد الاختصاص، قوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاّ هدينا ونوحا هدينا من قبل﴾ [الأنعام:84]، فهذا ليس من باب التخصيص إذ ليس معناه أننا ما هدينا إلا نوحا وإنما هو من باب المدح والثناء.

ونحو قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر﴾ [الضحى:9-10]، إذ ليس المقصود به جواز قهر غير اليتيم ونهر غير السائل، وإنما هو من باب التوجيه فإن اليتيم ضعيف وكذلك السائل وهما مظنة القهر، فقدمهما للاهتمام بشأنهما والتوجيه إلى عدم استضعافهما[1].

. تقديم الجار والمجرور :

في تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ [إبراهيم: 12] وقوله: ﴿على الله توكلنا ربنا﴾ [الأعراف:89]، وقوله: ﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [هود:88]

[1] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني ، ص 49 و 51 .

حيث تقدم للدلالة على الاختصاص وذلك لأن التوكل لا يكون إلا على الله وحده والإنابة ليست إلا إليه وحده[1] .

. تقديم الظرف :

الغرض نفسه نجده في تقديم الظرف في قوله تعالى: ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ [فصلت:47] فعلم الساعة مختص بالله وحده لا يعلمه أحد غيره ونحوه قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ [الأنعام:59] فقدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ (مفاتح الغيب) وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب ألا ترى كيف أكد ذلك الاختصاص بأسلوب آخر هو أسلوب القصر فقال: (لا يعلمها إلا هو)؟[2].

مما سبق نستنتج أن أغراض التقديم والتأخير من قسم تقديم اللفظ على عامله والتي أوردها السامرائي هي: الاختصاص، المدح والثناء، الاهتمام، والقصر، ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي في المخطط:

* تقديم المفعول به ← . الاختصاص
. المدح و الثناء
. الاهتمام

* تقديم الجار و المجرور ← . الاختصاص

* تقديم الظرف ← . الاختصاص
. القصر

وقد أوضح أن الغرض الغالب في هذا القسم يفيد الاختصاص إذ يقول في هذا الصدد: «وقد يكون التقديم والتأخير من هذا النوع لغرض آخر كالمدح والثناء والتعظيم والتحقير وغير ذلك من الأغراض، إلا أن الأكثر فيه أن يفيد الاختصاص»[3]

[1] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني. ص: 49-50 .
[2] . المصدر نفسه. ص: 51 .
[3] . المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

ب- تقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل:

في هذا النوع الثاني أفاض بالحديث فيه أكثر من النوع الأول كون هذا النوع يكثر في القرآن الكريم، وبما أن موضوع كتابه موجه لدراسة القرآن فلا عجب أن يكثر حديثه عن هذا النوع فهو يرى أن «القرآن أعلى مثل في ذلك فإنا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام، فنراه مثلا يقدم السماء على الأرض ومرة يقدم الأرض على السماء، ومرة يقدم الإنس على الجن ومرة يقدم الجن على الإنس، ومرة يقدم الضر على النفع ومرة يقدم النفع على الضر، كل ذلك بحسب ما يقتضيه فن القول وسياق التعبير»[1]، وهو في هذا النوع يلح على عدم الاكتفاء بالقول إنه قدم هذه الكلمة للعناية بها والاهتمام دون تبيين موطن هذه العناية وسبب هذا الاهتمام؛ يقول: «فإذا قيل لك مثلا: لماذا قدم الله السماء على الأرض هنا؟ قلت: لأن الاهتمام بالسماء أكبر، ثم إذا قيل لك: ولماذا قدم الله الأرض على السماء في هذه الآية؟ قلت: لأن الاهتمام بالأرض هنا أكبر، فإذا قيل لك ولماذا كان الاهتمام بالسماء هناك أكبر وكان الاهتمام بالأرض هنا أكبر؟ وجب عليك أن تبين سبب ذلك وبيان الاختلاف بين الموطنين»[2].

وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام رغم تشابهها في التسمية إلا أن مضمونها يختلف من نوع لآخر مع ذكر أغراض وأسباب كل نوع، وهي:

1- تقديم الألفاظ وتأخيرها:

يرى الدكتور فاضل صالح السامرائي أن القرآن يقدم الألفاظ ويؤخرها حسبما يقتضيه المقام فقد يكون سياق الكلام مثلا متدرجا:

. بحسب القدم و الأولية في الوجود:

فيرتب ذكر الكلمات على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه وهكذا، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدونِ﴾ [الذاريات:56]، فخلق الجن قبل خلق الإنس بدليل قوله تعالى: ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ [الحجر:27]، فذكر الجن أولا

[1] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني . ص: 52 .

[2] . المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

ثم ذكر الإنس بعدهم[1]، وغيرها من الأمثلة التي ساقها كتقديم السنة على النوم في قوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة:255].

وتقديم عاد على ثمود في قوله: ﴿وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ [العنكبوت:38] .

وتقديم الليل على النهار في قوله: ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر﴾ [الأنبياء:33].

وتقديم الظلمات على النور في قوله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام:1].

وتقديم العزيز على الحكيم في قوله سبحانه: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ [الحشر:1].

وتقديم القوة على العزة كونها أسبق في قوله تعالى:﴿وكان الله قويا عزيزا﴾[الأحزاب:25]

. بحسب الفضل والشرف:

منه قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ [النساء:69]، فقدم الله على الرسول ثم قدم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم، كما تدرج من القلة إلى الكثرة فبدأ بالنبيين وهم أقل الخلق، ثم الصديقين وهم أكثر، ثم الشهداء ثم الصالحين، فكل صنف أكثر من الذي قبله فهو تدرج من القلة إلى الكثرة ومن الأفضل إلى الفاضل، ولا شك أن أفضل الخلق هم أقل إذ كلما ترقى الناس في الفضل قل صنفهم[2].

وكذلك تقديم الرسول على الأنبياء في قوله: ﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ [الأحزاب:7].

وتقديم السمع على البصر في قوله: ﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾ [الإنسان:2].

. بحسب الرتبة:

كقوله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم﴾ [القلم:10-12]، فبدأ بالهماز وهو الذي يعيب الناس وهذا لا يفتقر إلى مشي ولا حركة، ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء وهو أنه يمنع الخير عن الآخرين، وهذه مرتبة أبعد في

[1] . فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني. ص 53 .

[2] . المصدر نفسه. ص: 54 .

الإيذاء مما تقدمها، ثم انتقل إلى مرتبة أخرى أبعد مما قبلها وهو الاعتداء، فإن منع الخير قد لا يصحبه اعتداء، أما العدوان فهو مرتبة أشد في الإيذاء، ثم ختمها بقوله: (أثيم) وهو وصف جامع لأنواع الشرور، فهي مرتبة أخرى أشد إيذاءً[1].

ومما ذكره ههنا أيضا: تقديم السمع على العلم في قوله: ﴿إنه هو السميع العليم﴾ [الأنفال:61]؛ لأن السمع من وسائل العلم فهو يسبقه[2].

وتقديم المغفرة على الرحمة في قوله: ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ [النساء:100].

. بحسب الكثرة والقلة:

ذكر منه نوعان هما:

أ . من القلة إلى الكثرة:

فقد يرتب المذكورات متدرجا من القلة إلى الكثرة حسبما يقتضيه المقام وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ [البقرة:125]، فكل طائفة هي أقل من التي بعدها فتدرج من القلة إلى الكثرة فالطائفون أقل من العاكفين لأن الطواف لا يكون إلا حول الكعبة، والعكوف يكون في المساجد عموما، والعاكفون أقل من الراكعين لأن الركوع أي الصلاة تكون في كل أرض طاهرة، أما العكوف فلا يكون إلا في المساجد، والراكعون أقل من الساجدين وذلك لأن لكل ركعة سجدتين ثم إن كل راكع لا بد أن يسجد وقد يكون سجود ليس له ركوع كسجود التلاوة وسجود الشكر[3].

ثم يضيف قائلا: ولهذا التدرج سبب اقتضاه المقام فإن الكلام على بيت الله الحرام، قال تعالى: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والركع السجود﴾ [البقرة:125] فالطائفون هم ألصق المذكورين بالبيت لأنهم يطوفون حوله، فبدأ بهم ثم تدرج إلى العاكفين في هذا البيت أو في بيوت الله عموما، ثم الركع السجود الذين يتوجهون إلى هذا البيت في ركوعهم وسجودهم في كل الأرض[4].

---

[1] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني. ص: 56 .

[2] . المصدر نفسه. الصفحة نفسها .

[3] . المصدر نفسها. ص: 57 .

[4] . المصدر نفسها. ص: 58 .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ [الحج:77]، فبدأ بالركوع وهو أقل المذكورات، ثم السجود وهو أكثر، ثم عبادة الرب وهو أعم، ثم فعل الخير[1].

ب . من الكثرة إلى القلة :

وقد يكون الكلام بالعكس فيتدرج من القلة إلى الكثرة نحو قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾[التغابن:2]، فبدأ بالكفار لأنهم أكثر، قال تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ [يوسف:103]، ويعقب السامرائي على هذا التقديم في هامش الصفحة 58، بقوله: "فقدم الكلام على الكافرين ثم ذكر المؤمنين بعدهم كما فعل في الآية التي ذكرناها أولا، ولا يناقض هذا ما ذكرناه في تعليل التقديم ولا يخالفه من أن التقديم ههنا إنما جرى بحسب الكثرة والقلة إذ ربما كان أكثر من ملحظ للتقديم والتأخير، فقد تعاضد على ذلك أمران كلاهما يقتضي التقديم، وهو تعاضد فني رفيع"[2].

2- تقديم لفظة في موضع وتأخيرها في موضع آخر:

. لمناسبة السياق :

من ذلك تقديم الضرر على النفع والعكس، وتقديم الرحمة والعذاب، والتقديم هنا حسبه يكون: "لملاحظ أخرى تتناسب مع السياق فنراه يقدم لفظة في موضع ويؤخرها في موضع آخر بحسب ما يقتضي السياق"[3]، ومن الأمثلة التي ذكرها في هذا المضمار قوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ [الأعراف:188]، وقوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله﴾ [يونس:49]، وقوله: ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ [المائدة:18]، وقوله: ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير﴾ [المائدة:40]؛ حيث كان تعليله لتقديم كل من النفع والضرر، والرحمة والعذاب إما بحسب ما قبلها أو بحسب السياق الذي وردت فيه[4].

---

[1] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني. ص: 58 .

[2] . المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

[3] . المصدر نفسها. ص: 59 .

[4] . المصدر نفسه. ص: 60-61 .

3- تقديم لفظة في مكان وتأخيرها في مكان آخر:

. لاقتضاء السياق :

كقوله تعالى: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾ [الأنبياء:31]، وقوله: ﴿والله جعل لكم الأرض بساطا، لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ [نوح:20]، فقدم الفجاج على السبل في الآية الأولى، وأخرها عنها في آية نوح وذلك أن الفج في الأصل هو الطريق في الجبل أو بين الجبلين، فلما تقدم في آية الأنبياء ذكر الرواسي وهي الجبال قدم الفجاج لذلك، بخلاف آية نوح فإنه لم يرد فيا ذكر للجبال فأخرها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون، ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ [آل عمران: 157-158]، فقدم القتل على الموت في الآية الأولى، وقدم الموت في الآية التي تليها وسبب ذلك -والله أعلم- أنه لما ذكر في الآية الأولى (في سبيل الله) وهو الجهاد قدم القتل إذ هو المناسب لأن الجهاد مظنة القتل، ثم هو الأفضل أيضا، لذا ختمها بقوله: (لمغفرة من الله ورحمة)، فهذا جزاء الشهيد ومن مات في سبيل الله.

ولما لم يقل في الثانية: (في سبيل الله)، قدم الموت على القتل لأنه الحالة الطبيعية في غير الجهاد ثم ختمها بقوله: (لإلى الله تحشرون) إذ الميت والمقتول كلاهما يحشره الله إليه فشتان ما بين الخاتمتين، فلم يزد في غير الشهيد ومن مات في سبيل الله على أن يقول: (لإلى الله تحشرون)، وقال في خاتمة الشهيد: (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) فوضع كل لفظة الموضع الذي يقتضيه السياق[1].

ومما أورده أيضا في هذا الجزء تقديم الأنعام والناس في قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ [السجدة:27]، وقوله في مكان آخر: ﴿وفاكهة وأبا، متاعا لكم ولأنعامكم﴾ [عبس:31-32].

وتقديم رزق الآباء ورزق الأبناء في قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ [الأنعام:151]، وقوله: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾ [الإسراء:31].

[1] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني. ص: 62-63 .

وكذلك تقديم القلوب والسمع في قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ [البقرة:7]، وقوله: ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ [الجاثية:23].

ومن ذلك أيضا تقديم التوحيد والخلق في قوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾ [الأنعام:103]، وقوله: ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ [غافر:63].

ومنه تقديم الأموال والأنفس على (في سبيل الله) في قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ [الأنفال:72]، وقوله: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ [التوبة:20].

ومنه تقديم المواخر والجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ [النحل:14]، وقوله: ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ [فاطر:12].

وتقديم (للناس) و(في هذا القرآن) في قوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ [الإسراء:89]، وقوله: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ [الكهف:54].

ومن ذلك أيضا تقديم الشيء والكسب في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [البقرة:264]، وقوله: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ [إبراهيم:18][1].

ومنه تقديم القلوب والجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ [آل عمران:126]، وقوله: ﴿وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ [الأنفال:10].

[1] . ينظر: فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني. ص:63-70 .

وتقديم (به) و(لغير الله) في قوله تعالى: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ [البقرة:173]، وقوله: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح عل النصب﴾ [المائدة:3].

ومنه أيضا تقديم عذاب الأرض وعذاب السماء، في قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ [الملك:17]، وقوله: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ [الأنعام:65][1].

. أدعى إلى العجب:

كقوله تعالى: ﴿لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ [النمل:68]، وقوله: ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ [المؤمنون:83]، فقدمَ (هذا) في الآية الأولى وأخرها في آية المؤمنون، وذلك أن البلى في الحالة الأولى أكثر وأشد وذلك أنهم أصبحوا ترابا مع آبائهم، وأما في الآية الثانية فالبلى أقل وذلك أنهم تراب وعظام فلم يصبهم ما أصاب الأولين من البلى، ولذا قدم (هذا) في الآية الأولى لأنه أدعى إلى العجب[2].

[1] . ينظر فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني ، ص 71 ، 72 ، 74 .

[2] . فاضل صالح السامرائي : التعبير القرآني ، ص 65 ، 66 .

مخطط الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير:

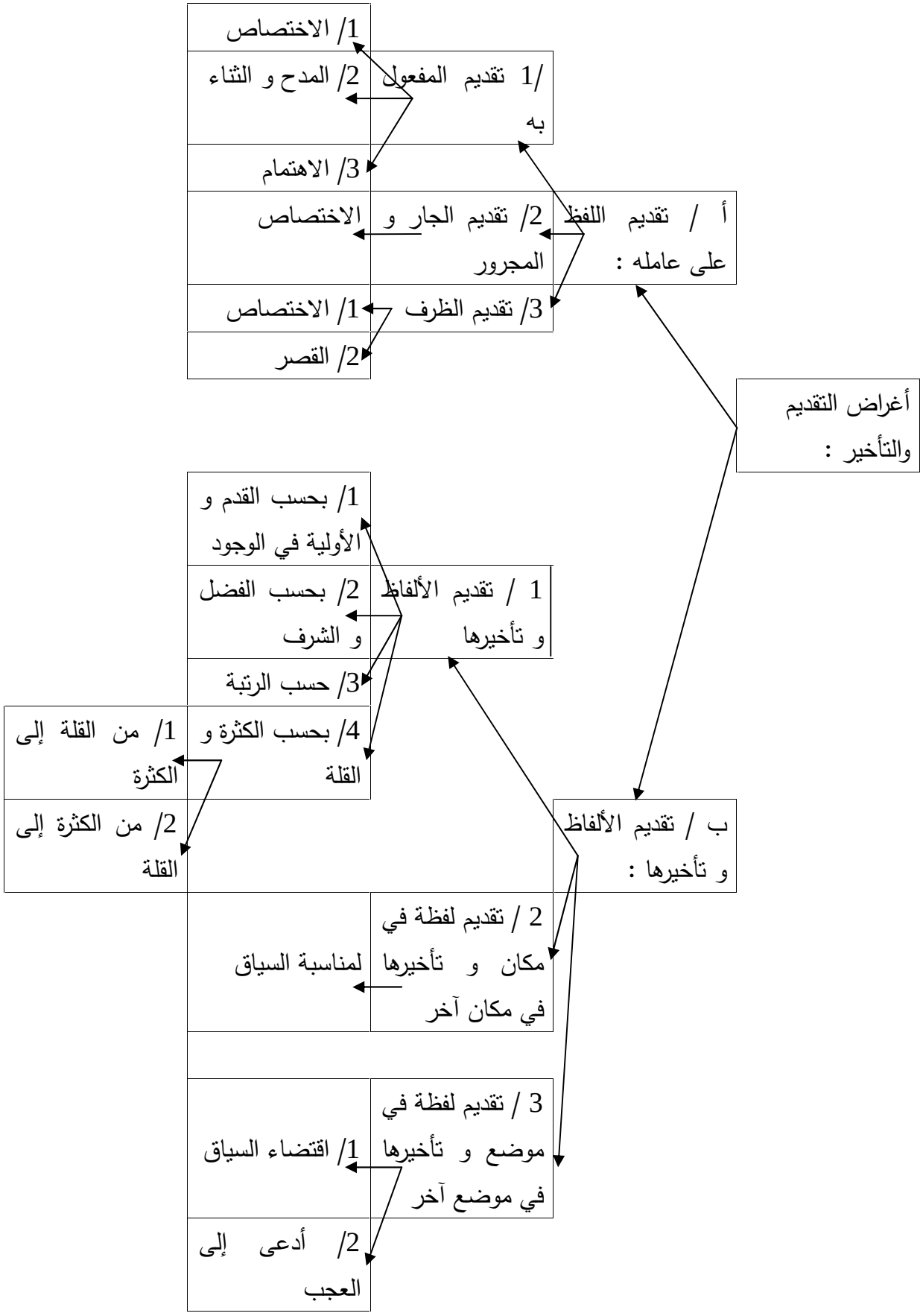

من المخطط أن الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير التي وظفها السامرائي في دراسته البلاغية لبعض آيات الذكر الحكيم نلاحظ أنها تنحصر فيما يأتي:

الاختصاص، الاهتمام، المدح والثناء، القصر، القدم والأولوية في الوجود، الفضل والشرف والرتبة، الكثرة والقلة، مناسبة واقتضاء السياق، وكونها أدعى إلى العجب، ومن بين الأغراض التي ذكرها وكان لها شديد العناية من قبله غرض "السياق ومقتضى الحال"، إذ أورده في مبحثه التقديم والتأخير أكثر من مرة، يقول: « والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال، و لذا كان عليك أن تقدم كلمة في موضع ثم تأخرها في موضع آخر لأن مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذلك»[1].

وقد أشار إلى ذلك جلال الدين السيوطي في كتابه: "الإتقان في علوم القرآن"، بقوله: «قد يقدم لفظ في موضع ويؤخر في آخر ونكتة ذلك: إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه»[2].

فالدكتور حين يتكلم عن التقديم لا يشير إلى المقدم والمؤخر فحسب بل يذكر السبب في التقديم كما يبرز دور السياق الذي وضعت فيه اللفظة في زيادة التناسق والجمال في التعبير القرآني، يقول: «فنرى التعبير متسقا متناسقا مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة»[3]، حيث شبهها بلوحة فنية واحد مكتملة المعالم تسر الناظرين إليها .

3) أهمية التقديم والتأخير:

تكمن أهمية التقديم والتأخير عند فاضل صالح السامرائي في القرآن الكريم في "اللفظة" التي تدل دلالة واضحة على أن التعبير القرآني تعبير مقصود، يقول: «كل لفظ فيه وضع وضعا فنيا مقصودا»[4]، مما يدل دلالة واضحة على أن للفظ مكانة مرموقة في زيادة جمال التعبير القرآني يقول في موضع آخر: «كل كلمة بل كل حرف وضع وضعا فنيا مقصودا في غاية الدقة والجمال»[5].

---

[1]. فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني ص: 51-52 .

[2]. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ص: 451 .

[3]. فاضل صالح السامرائي: المصدر السابق . ص: 53 .

[4] . المصدر نفسه. ص: 74 .

[5] . المصدر نفسه. ص: 252 .

إن فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلم وليس ادعاء يدعى أو كلمة تقال .

وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن كما في غيره الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب، ولم يكتف القرآن الكريم الذي وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله ، فنرى التعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة .

فالقرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض بدقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك وكذلك مرتعا فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة .

خاتمـــة

الخاتمة :

نحمد الله أن منّ علينا بختام هذا البحث، الذي تناولنا فيه ظاهرة التقديم والتأخير وأوضحنا أنه مظهر من مظاهر الشجاعة العربية، ففيه إقدام على مخالفة الترتيب المألوف للجملة من غير خشية لبس، أي أن تخالف عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم، وذلك للوصول بالعبارة إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق وجمال.

وبيّنا أن للتقديم والتأخير أسبابا وأغراضا متعددة ومتنوعة بحسب السياق الذي وردت فيه، إلا أن الغرض الأول من تقديم عنصر هو كون ذكره أهم من ذكر باقي أجزاء الكلام، والعناية به أكثر من العناية بذكر غيره، وقد أوضحنا أن التقديم والتأخير في اللغة العربية لم يكن ضربا من العشوائية ولا ضعفا في اللغة، ولكن كان له ما يفسره ويعلله لما كانت له دواع اقتضاها التعبير أو السياق الذي ورد فيه .

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج والأفكار التي خلصنا إليها في مسيرتنا التي حاولنا من خلالها الإحاطة بأهم ما ورد في كتاب: "التعبير القرآني" للسامرائي، حيث يمكن القول:

- إن فاضل صالح السامرائي قد مضى في بيان المقدم والمؤخر في القرآن مبرزا أسراره، وجمالياته، وأهميته في السور القرآنية.
- أن فاضل صالح السامرائي عند حديثه عن الآيات لم يهتم بأسباب و أسرار التقديم فقط، بل أحاط بكل جوانبه؛ حيث أوضح بل ألح على عدم الاكتفاء بالقول إنه قدم هذه الكلمة للعناية بها والاهتمام بها دون تبيين موطن هذه العناية وسبب هذا الاهتمام .
- وإنه أشار إلى ضرورة معرفة السياق الذي وردت فيه الآية، وذلك لمعرفة سبب التقديم والتأخير؛ فقد يكون بحسب ما قبله هو ما يقتضي تقديم كلمة على كلمة أخرى، والأصل فيها أن تتأخرها، وذلك حتى لا يشكل معناها بحسب ظاهرها.

ونختم بما أوضحه فاضل صالح السامرائي في كتابه "التعبير القرآني" بأن القرآن الكريم وما يتضمنه من قيمة بيانية، تلك التي يمثلها التعبير القرآني دالة على الإعجاز القرآني وعلى المسلم المعاصر أن يدرك القيمة المنهجية والمعرفية التي يمثلها القرآن المجيد، ليس فقط في إطار الإعجاز البياني فحسب، بل كذلك الوقوف على بقية الأنواع من الإعجاز التشريعي منها والإخباري وغيرهما، وأن يتعرض لهذا القرآن بالتلاوة والتعلم والتذكر والتدبر والترتيل؛ فبه تتحقق الهداية، وبه تسود الأمة غيرها من الأمم.

ونرجو أننا وفقنا ولو بالقليل؛ فنكون بذلك قد أفدنا واستفدنا، ونسأل الله تعالى أن يجعل بحثنا خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون في ميزان حسناتنا يوم نلقاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العاملين .

قائمة المصادر و المراجع

المصادر والمراجع:

أولا؛ المصادر:

- **القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع**
- المدونة:

فاضل السامرائي : التعبير في القرآن الكريم

ثانيا؛ المراجع:

1- **أبو زيد** (كريمة محمود): **علم المعاني دراسة وتحليل**. مكتبة وهبة، القاهرة ط:1 1988م .

2- **أبو شوارب** (محمد) وأحمد محمود المصري: **المدخل لدراسة البلاغة العربية**. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط:1، 2007م .

3- **أبو العدوس** (يوسف): **مدخل إلى البلاغة العربية**. دار الميسرة للنشر والتوزيع عمان، ط:1، 2007م.

4- **أبو مغلي** (سميح): **علم الأسلوبية والبلاغة**. دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، ط:1، 2011م .

5- ابن **أبي الحديد**: **الفلك الدائر على المثل السائر**. تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. دار الرفاعي، الرياض، ط:2، 1984م.

6- ابن **الأثير** (ضياء الدين): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت ج:1

7- **البدوي** (أحمد أحمد): **من بلاغة القرآن**. نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر 2005م.

8- **البرقوقي** (عبد الرحمن): **شرح ديوان المتنبي**. دار الكتاب العربي، بيروت ط:2، 1986م

9- **البيباني** (محمد البسيوني): **حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع**. مطبعة ديوان عموم المعارف، بسرا، ط:1، 1301هـ.

10- **التفتازاني** (سعد الدين): **شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني في المعاني والبيان والبديع**. تعليق: عبد المتعال الصعيدي. المطبعة المحمودية التجارية، الأزهر، 1356هـ.

11- **الجاحظ: البيان والتبيين**. تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي القاهرة، ط:7، 1998م، ج:1.

12- **الجرجاني** (عبد القاهر): **دلائل الإعجاز**. تح: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني، القاهرة، ط:3، 1992م .

13- **الجويني** (مصطفى الصاوي): **البلاغة العربية تأصيل وتجديد**. منشأة المعارف الإسكندرية، 2002م .

14- **الحربي** (عبد العزيز بن علي): **البلاغة الميسرة**، دار ابن حزم، لبنان، ط:2، 2011م .

15- **حسين** (عبد القادر): **فن البلاغة**. عالم الكتب، بيروت، ط:2، 1984م.

16- ابن **حمزة** (يحي بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني): **الطراز**. المكتبة العصرية بيروت، ط:1، 2002م .

17- **الخفاجي**(ابن سنان): **سر الفصاحة**. دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1،1982م

18- **خليل** (ندا منير محمد): **التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث**. http://www.alukah.net/library/0/30259، 2011/12/31، الساعة: 10:58.

19- **خويسكي** (زين كامل وأحمد محمود المصري): **فنون بلاغية**. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط:1، 2006م .

20- راضي (عبد الحكيم): **الفكر البلاغي في كتاب الخصائص صنعة أبي الفتح عثمان بن جني**. ج:2، سلسلة الذخائر، العدد: 147، 1 يونيو 2006م

21- **الزبيدي** (محمد مرتضى الحسيني): **تاج العروس من جواهر القاموس**. تح: عبد الستار أحمد فراج، التراث العربي، الكويت، 1965م .

22- **الزركشي** (بدر الدين محمد بن عبد الله): **البرهان في علوم القرآن**. تح: محمد أبو فضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط:3، 1984م

23- **الزمخشري** (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد): **أساس البلاغة**. تح: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، لبنان، ط:1، 1998م .

24- **السبت** (خالد بن عثمان): **قواعد التفسير جمعا ودراسة**. دار ابن عفان، ط:1، 1421هـ.

25- **السبكي** (محمد عبد اللطيف) ومحمد محيي الدين عبد الحميد: **المختار من صحاح اللغة**. مطبعة الاستقامة، القاهرة

26- **السراج** (محمد علي): **اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب**. تح: خير الدين شمسي باشا. دار الفكر، دمشق، ط:1 .

27- **السكاكي** (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي): **مفتاح العلوم**. تح: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 2000م.

28- **السيوطي** (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): **الإتقان في علوم القرآن**. علق عليه: مصطفى شيخ مصطفى. مؤسسة الرسالة ناشرون، سوريا ط:1، 2008م .

29- **الشنقيطي** (محمد المحفوظ بن محمد الأمين التنواجوي): **المداخل الأولية في علوم العربية**. مكتبة الأقصى، الدوحة، ط:1، 1995م .

30- **الصعيدي** (عبد المتعال): **البلاغة العالية**. راجعه: عبد القادر حسين. مكتبة الآداب ومطبعتها، الجماميز، ط:2، 1991م .

31- **الطيبي** (شرف الدين): **لطائف التبيان في علمي المعاني والبيان**. تح: عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي. مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط:1، 1997م

32- **العاكوب** (عيسى علي) وعلي سعد الشتيوي: **الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني، البيان، البديع**. دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط:1، 1993م .

33- **عباس** (فضل حسن): **البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني**. دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط:4، 1997م

34- بن **عثمان** (حسن بن الحسين المفتي: **خلاصة المعاني**. تح: عبد القادر حسين. الناشرون العرب، السعودية، د.ط، د.ت.

35- **عطية** (محسن علي): **الأساليب النحوية عرض وتطبيق**. دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط:1، 2007م .

36- **عكاوي** (إنعام فوال): **المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني**. مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2 1996م.

37- ابن **فارس** (أبو الحسين أحمد بن زكريا):

- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**. علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية، لبنان، ط:1 1997م .
- **مقاييس اللغة**. تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، د.ط،1979م.

38- **فراج** (نزيه عبد الحميد): **من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي**. مكتبة وهبة، القاهرة، ط:1، 1997م.

39- **فضل** (عاطف محمد): **البلاغة العربية**. دار ميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط:1، 2011م.

40- **القزويني** (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب):

- **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدع**. دار الكتب العلمية بيروت، د.ط، د.ت.
- **التلخيص في وجوه البلاغة**. تح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي ط:1، 1904م.

41- **القلقشندي** (أبو العباس أحمد): **صبح الأعشى**. دار الكتب المصرية، القاهرة د.ط، 1922م ، ج:1

42- **قلقيلة** (عبده عبد العزيز): **البلاغة الاصطلاحية**. دار الفكر العربي، القاهرة ط:3، 1992م .

43- ابن **مالك** (ابن الناظم بدر الدين): **المصباح في المعاني والبيان والبديع**. تح: حسني عبد الجليل يوسف. مكتبة الآداب، الجماميز، ط:1، 1989م.

44- **المبرد** (أبو العباس محمد بن يزيد): **البلاغة**. تح: رمضان عبد التواب. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط:2، 1985م.

45- **المراغي** (أحمد مصطفى): **علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع**. دار الكتب العلمية، لبنان، ط:3، 1993م.

46- **المرصفي** (حسين): **الوسيلة الأدبية للعلوم العربية**. مطبعة المدارس الملكية القاهرة، ط:1، 1292هـ، ج:2.

47- **الميداني** (عبد الرحمن حسن حبنكة): **البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها**. دار القلم، دمشق، ط:1، 1996م، ج:1.

48- **ناصف** (حفني) ومحمد دياب وسلطان محمد ومصطفى طموم: **دروس البلاغة**. عني به أحمد السنوسي أحمد. دار ابن حزم، بيروت، ط:1، 2012م.

49- **النقراط** (عبد الله محمد): **الشامل في اللغة العربية**. دار الكتب الوطنية، ليبيا ط:1، 2003م.

50- **هاشمي** (السيد أحمد): **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**. المكتبة العصرية، بيروت، ط:1، 1999م .

51- **وهبة** (مجدي) وكامل مهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**. مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

52- **يعقوب** (إميل بديع): **موسوعة علوم اللغة العربية**. دار الكتب العلمية، لبنان ط:1، 2006م، ج 6 .

53- **اليعقوبي** (محمد بن العربي الهلالي): **يواقيت المشتري من جوهر الأخضري فن البلاغة**. طبع في المغرب، 1991م .

المعاجم:

1- **الجرجاني** (علي بن محمد السيد الشريف): **معجم التعريفات**. تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت.

2- **اللبدي** (محمد سمير نجيب): **معجم المصطلحات النحوية والصرفية**. دار الفرقان، الأردن، ط:1، 1985م .

3- **مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط**. مكتبة الشروق اليومية، مصر، طك4 .

4- ابن **منظور**: **لسان العرب**. دار المعارف، القاهرة. د.ت

54- **يعقوب** (إميل) وبسام بركة ومي شيخاني: **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**. دار العلم للملايين، لبنان، ط:1، 1987م.

مواقع الأنترنت:

1- **ويكيبيديا** الموسوعة الحرة : http://ar.wikipedia.org

2- http://www.alukah.net/library

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	أ-ج
المدخل؛ مفهوم البلاغة وفائدتها	**1 - 10**
تعريف البلاغة	2
أ- تعريف البلاغة لغة	2
وتتمثل فائدته وأهميته	8
الفصل الأول؛ مفهوم التقديم والتأخير وأقسامه وأغراضه	**12-36**
تعريف التقديم والتأخير	12
ثانيا؛ التأخير	13
ثالثا؛ التقديم والتأخير	14
رابعا؛ تعريفات البلاغيين القدامى للتقديم والتأخير	16
2- أقسام التقديم والتأخير	18
أولا؛ عند عبد القاهر الجرجاني	18
ثانيا؛ عند ابن الأثير	19
ثالثا؛ عند الزركشي	21
رابعا؛ عند جلال الدين السيوطي	27
3- أسباب التقديم والتأخير	28
4- الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير	33
5- فائدة التقديم والتأخير	35
الفصل الثاني؛ التقديم والتأخير عند فاضل السامرائي	**37-54**
• بطاقة فنية حول كتاب "التعبير القرآني" لفاضل صالح السامرائي	38
معلومات حول الكتاب	38
التعريف بفاضل السامرائي، صاحبِ الكتاب	38
التقديم والتأخير عند فاضل صالح السامرائي	42
1) أحوال التقديم والتأخير	42

2) أغراض التقديم والتأخير (إحصاء)	43
1- تقديم الألفاظ وتأخيرها	45
2- تقديم لفظة في موضع وتأخيرها في موضع آخر	48
3- تقديم لفظة في مكان وتأخيرها في مكان آخر	49
مخطط الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير	52
3) أهمية التقديم والتأخير	53
الخاتمة	**55-57**
قائمة المصادر والمراجع	**58- 64**
فهرس الموضوعات	**65-67**